جورج أورويل

مزرعة الحيوان

اسم الكتاب: مزرعة الحيوان

تأليف: جورج أورويل

ترجمة: مي دنيا

الإخراج الداخلي: القسم الفني بالدار

تدقيق لغوي: محمد الخولي

تصميم الغلاف: عبد الرحمن خلف

الطبعة الأولى: 2023

رقم الإيداع: 2022/26625

الترقيم الدولي: 978-977-86417-8-3



ج.م.ع

الإسكندرية

Email: mazagelkotob@gmail.com

Mobile: 01024541339

تقديــم

إريك آرثر بلير هو الاسم الحقيقي لجورج أورويل، وهو الاسم المستعار له والذي اشتهر به. هو صحفي وروائي بريطاني. عمله كان يشتهر بالوضوح والذكاء وخفة الدم، والتحذير من غياب العدالة الاجتماعية ومعارضة الحكم الشمولي وإيمانه بالاشتراكية والديمقراطية.

حياته:

ولد إريك آرثر في ٢٥ يونيو ١٩٠٣، في ولاية موتيهاري في ولاية بيهار الهندية لأسرة من الطبقة المتوسطة. كان لإريك أختان: (مارجوري) التي تكبره بخمس سنوات، و(أفريل) التي تصغره بخمس سنوات. حينما كان عمر إريك سنة واحدة نقلته أمه مع أخته إلى إنجلترا. ترعرع إريك في حضن أمه وأخواته، ولم يروا والدهم ريتشارد حتى عام ١٩١٢. عندما بلغ عمر الخامسة أُرسل إريك طالبًا إلى مدرسة الدير في هينلي، الواقعة على نهر التايمز، والتي انضمت إليها (مارجوري). كانت أمه تريد له أن يقوم بتحصيل الدراسة في المدارس الحكومية؛ لكن عائلته لم تكن تستطيع توفير تكاليف المدرسة، وكان يحتاج الحصول على منحة

دراسية. قام مدير المدرسة بمساعدة إريك للفوز بمنحة دراسية، وقام بوضع ترتيبات تسمح لأبوي إريك بدفع نصف الرسوم المعتادة. في سبتمبر ١٩١١ وصل إريك لمدرسة سانت قبرص. درس إريك في المدرسة خلال الخمس سنوات التالية، وكان يعود لمنزله في العطل الدراسية. لم يكن يعلم أي شيء عن الرسوم الدراسية المخفضة، على الرغم من أنه عرف بملاحظته عن نفسه أنه قادم من بيت فقير. كره بلير الدراسة، وكتب في سنوات لاحقة مقال: "هذه وتلك مكان الفرحة"، الذي نشر بعد موته، وكان عن وقته في المدرسة.

أعماله:

أكثر عمل عرف به هو رواية ١٩٨٤، التي كتبها في عام ١٩٤٩، وروايته المجازية مزرعة الحيوان عام ١٩٤٥.

والاثنتان تم بيع نسخهما معًا أكثر من أي كتاب آخر لأي من كُتاب القرن العشرين. وقد جمعت رسائله ومقالاته وأعماله الأدبية في مؤلف من أربعة أجزاء.

المترجم

***

الفصل الأول

عاد السيد جونز -صاحب مزرعة مانور- إلى المنزل، مترنحًا يمينًا وشمالاً، بعد أن أغلق فتحات قن الدجاج؛ لكنه كان ثملاً للغاية، حتى نسي إغلاق أبواب الحظائر الأخرى. وكعادته ارتشف كأسًا من البيرة على ضوء المصباح المتراقص من أثر الرياح، فقذف بحذائه بعيدًا عند الباب الخلفي، ثم انسحب إلى غرفة نومه بالدور العلوي؛ حيث كانت زوجته في السرير مستغرقة في نوم عميق.

وبمجرد انطفاء الضوء في حجرته حتى سرى في أرجاء المزرعة دبيب خافت. فقد دار الحديث خلال ذلك النهار أن الخنزير العجوز (ماجور) الحائز على جائزة معرض ويلنجدون قد رأى حلمًا غريبًا ليلة أمس، وأبدى رغبته في أن يرويه لبقية حيوانات المزرعة.

اتفقت الحيوانات جميعها على اللقاء في الحظيرة الكبيرة، عندما يأوي السيد جونز إلى فراشه.

وكان (ماجور) خنزير له شأن عظيم بين حيوانات المزرعة، وكان الاسم الذي عُرف به حين حاز الجائزة هو فتى ويلنجدون الجميل، لدرجه تضحية الحيوانات بساعة من نومها في سبيل الاستماع إليه.

وفي نهاية الحظيرة، اعتلى ماجور ذو الاثني عشر ربيعًا كومة من القش، وكان يبدو عليه مظاهر الحكمة والوقار، وقد زادته أنيابه البارزة وسامة وعظمة الملوك. وعلى الرغم من كونه سمينًا ومترهل الجسد، إلا أنه يتمتع بمظهر مهيب وحضور قوي.

توالت الحيوانات في الحضور إلى مكان الاجتماع تباعًا، واحتلت أماكنها، بعد أن قامت بحركات مألوفة للقعود في أوضاع مريحة. كانت الكلاب الثلاثة: بلوبل وجسي وبنتشر أول من دخل الحظيرة، ثم تلتها الخنازير التي جلست على القش أمام المنصة مباشرة، كما تجمع الدجاج على فتحات النوافذ، ورفرف الحمام على العوارض الخشبية في السقف، في حين جلست الأبقار والأغنام خلف الخنازير تَجْتَرُّ الغذاء بلا كلل!

ثم أتى حصانا المزرعة بوكسر وكلوفر يمشون ببطء، وجلسوا بحذر حرصًا على أي حيوانات صغيرة مختفية في القش!

كانت كلوفر فرسة تقترب من منتصف عمرها، تبدو عليها الأمومة، بدينة لم تستطع بعدُ استعادة رشاقتها الأولى بعد وضعها لمولودها الرابع. أما بوكسر فكان حصانًا ضخمًا ذا قامة مرتفعة، يبلغ من القوة ما يبلغه حصانان مجتمعان معًا، وتحت أنفه شامة بيضاء، تزيد من سمات الغباء! وعلى الرغم من سطحية تفكيره إلا أنه كسب احترام الحيوانات الأخرى له؛ نظرًا لضخامته، وطاقته الهائلة في

العمل، وما يتمتع به من أخلاق نبيلة وعريقة.

بعدهما دخلت مولي، المهرة البيضاء الجميلة.. تمشي بدلال وهي تلوك قطعة من قصب السكر، وتحرك عنقها من جانب إلى آخر؛ لإثارة الانتباه إلى الشرائط التي ضفرها لها مستر جونز في عُرْفها الكث، وتبعتها موريل، العنزة البيضاء، والحمار بنيامين.. أكبر حيوانات المزرعة سنًّا وأكثرها عصبية، عابس الوجه، لا يضحك إلا فيما ندر، وإذا سئل: لماذا؟

كان يرد دائمًا بنفس الجواب:

لا أجد ما يدعو للضحك!

وعلى الرغم من طباعه الحادة، إلا أن الحمار بنيامين كان شديد الوفاء، ومولعًا بالحصان بوكسر.. كانا يمضيان أيام الأحد معًا في مزرعة الخيول، يرعيان جنبًا إلى جنب، من دون أن يتفوها ببنت شفة.

ما كاد الحصانان يأخذان مكانيهما في الحظيرة، حتى دخلها مجموعة من فراخ الإوز مزقزقين من جانب إلى آخر؛ بحثًا عن مكان آمن، بعيدًا عن أقدام الحيوانات الكبيرة، وما أن رأتهما الفرس كلوفر حتى ضمتها بين أرجلها الأربع لحمايتها، فدخلت صغار البط، وسرعان ما شعرت بالدفء، فغطت في نوم عميق، استمر طوال ساعات الاجتماع.

وأخيرًا، وصلت الهرة البيضاء، ثم حشرت نفسها بين بوكسر وكلوفر؛ حيث الدفء، واستسلمت للنوم دون الإصغاء لكلمة واحدة مما يقوله الخنزير ماجور. وبذلك كان قد حضرت كل الحيوانات، ماعدا الغراب موسى، فهو غراب مستر جونز المدلل، الذي كان نائمًا في عش وراء الباب الخلفي للمنزل.

***

عندما شعر العجوز ماجور باكتمال عدد الحضور، وقد اتخذ كل حيوان مكانه المريح، وكانوا ينتظرون حديثه بحماس، تنحنح مستهلاً حديثه قائلاً:

- لا بد أنكم جميعًا سمعتم بالحلم الغريب الذي رأيته في منامي ليلة أمس؛ لكن ثمة أمر مهم أود التحدث إليكم بشأنه قبل ذلك، وسآتي على قصة الحلم فيما بعدُ.

ثم تنحنح مرة ثانية وقال:

- أيها الأصدقاء .. لم يعد في العمر متسع من الوقت، ولا أظن أن الزمن سيمهلني مدة أطول بينكم، قبل أن توافيني المنية، وأشعر أن من واجبي أن أترك فيكم الحكمة التي اكتسبتها من تجارب حياتي الطويلة، ويمكنني القول: إني فهمت طبيعة الحياة على هذه الأرض، بعد أن

أمضيت الأيام الأخيرة في مربضي وحيدًا أفكر في مغزاها.. عن هذا الموضوع، يا أصدقائي، سأتحدث إليكم.

- دعونا الآن نتساءل عن معنى حياتنا هذه .. دعونا نواجه الحقيقة .. إنَّ حياتنا تعيسة ومُستَغَلَّة وقصيرة .. إننا نشقى ونعمل بجد، ونُطْعَم ما يسد الرمق ويحفظ الأرواح في الجسد ليس إلَّا، وحالما تنتهي الحاجة إلينا - سواء بسبب العجز أو المرض- نُذبح بوحشية.

ثم قال - وهو يهز رأسه-: لا أعتقد يا أصدقاء أن هناك حيوانًا يعرف للسعادة طعمًا، أو للرفاهية معنى.

وأضاف بعد أن تفحصت عيناه الوجوه التي غشاها الحزن أمامه:

- إنَّ حياتنا بائسة، وهي ليست سوى سلسلة من العبودية والاضطهاد! .. هذه هي الحقيقة المرة يا أصدقاء.

ثم تساءل قائلاً: "أمن أجل حياة كهذه خُلقنا؟! هل حدث هذا لأن أرضنا فقيرة جدباء .. قليلة العطاء، وخيراتها لا تكفي لإطعام من يدب عليها؟!

كلا يا أصدقائي كلا!

إنَّ تراب أرضنا خصبٌ، وطقس بلادنا ممطر، وأرضنا معطاءة، قادرة على إنتاج كميات وافرة من الغذاء، تكفي لإطعام عدد أكبر من

عدد الحيوانات التي تعيش عليها، وبوسعها أن تنتج ما تحتاجه دَزِّينة من الخيول وعشرين بقرة ومئات الخراف، ويمكن أن نعيش عليها في راحة وكرامة لا يُمكن تخيلهما.

إذن لماذا تستمر هذه الأوضاع البائسة؟ ولماذا نرضى أن يسلب الإنسان نتاج عملنا، ويجني ثمار تعبنا؟ ذلك - يا أصدقائي- هو الجواب عن تساؤلاتنا: الإنسان هو عدونا الوحيد.. هذا المخلوق الذي يستهلك ولا ينتج، ويعيش على كد الأخرين وعرقهم! فهو لا يعطي الحليب، ولا يضع البيض، ولا يستطيع سحب المحراث، ولا يركض بسرعة للإمساك بالأرانب، ومع ذلك فهو سيد الحيوانات.. يستغلها للعمل والكد، ويُسخرها لخدمته وراحته، وفي نهاية اليوم يرمي لها فتات الطعام.. ليس حبًّا فيها، وإنما ليُبقيها حية.. قادرة على العمل في اليوم التالي.

«يا أصدقاء، إنَّ قوتنا تحرث الأرض، وروثنا يسمدها، ومع ذلك فلا أحد منا يملك أكثر من جلده». وهو ينظر إلى البقر قال:

- أنت أيتها الأبقار التي أراك أمامي تجترين الطعام من جوفك، كم ألفًا من جالونات الحليب أعطيتِ خلال العام المنصرم؟ أين هي؟ .. ماذا حصل لها؟ إنَّ كل نقطة منه ذهبت إلى فم عدونا.. وأنت أيها الدجاج لم تكن أفضل حظًّا أيضًا .. وتساءل:

- وأنتن يا دجاج، كم بيضة وضعتن هذا العام؟ هل صار دجاجًا؟ لا .. لقد ذهب كله إلى الأسواق؛ ليجلب المال لجونز ورجاله.

وما كاد العجوز ينطق باسم صاحب المزرعة حتى سرت همهمة خفيفة بين الحيوانات، وسرعان ما تلاشت عندما تساءل:

- وأنت يا كلوفر، أين أولادك الأربعة؟ كان من المفترض أن يكونوا مسرة وعون شيخوختك.. لقد باع جونز كل واحد منهم قبل أن يكمل عامه الأول، ولن تكتحل عيناك برؤيتهم طوال حياتك. وماذا كانت مكافأتك على التضحية بأولادك ومقابل عملك بالحقل؟ لا شيء تمامًا .. لا شيء غير حصة قليلة من الطعام ومرقد قذر.

"ليس ذلك وحسب يا أصدقاء! فحتى حياتنا البائسة هذه لا يسمح لها أن تأخذ مدارها الطبيعي، فلن يفلت منا أحد من وحشية حد السكين".

وهو ينظر في عيون الخنازير التي احتشدت أمامه فاغرة أفواهها قال:

- وأنتِ أيتها الخنازير اليافعة، سوف تُنتزع أرواحكم قبل أن تكملوا عامكم الأول!

من أجل هذا الرعب والوحشية في المعاملة، يجب أن نتحد أبقارًا

وخنازيرَ ودجاجًا وخرافًا.. وحتى الخيول والكلاب لن تكون أوفر حظًّا.. فحياتنا متشابهة، أيها الأصدقاء، ومصيرنا واحد، فمن لم يمتْ بحد السكين سيلقى حتفه مريضًا في مربضه.

وبدلاً من أن ترتفع الأصوات بعد أن حبست بعض الحيوانات غضبها، بانتظار أن ينهي العجوز حديثه، جاءت كلماته الأخيرة باردة؛ لتطفئ النار التي اشتعلت داخل النفوس البائسة:

- أليس الأمر جليًّا يا أصدقاء؟! .. إن كل الشرور التي نُعاني منها، والتعاسة التي نتجرع مرارتها طوال حياتنا هي من صنع يد الإنسان .. الإنسان - أيها الأصدقاء- هو مصدر شقائنا.. تخلصوا منه، وحينئذ فقط سنكون أسياد أنفسنا، وسيغدو نتاج عملنا لنا لا لغيرنا، وبين ليلة وضحاها ستجدون أنفسكم أحرارًا وأغنياء.. اعملوا ليلاً ونهارًا روحًا وجسدًا للإطاحة بالجنس البشري.. هذه هي وصيتي لكم أيها الأصدقاء: الثورة على الإنسان.

أيها الأصدقاء، أنا لستُ عرَّافًا، ولا أضرب الودع، وليس بوسعي استشراف المستقبل.. لا أعرف في الحقيقة متى ستبدأ الثورة، وكيف سيكون شكلها .. هل ستبدأ بعد أسبوع أم في غضون شهر أو سنة؟! لا أدري، ولكني على يقين تام، كرؤيتي لهذه القشة أمامي، أن الفرج آتٍ لا محالة، وأن النصر - طال الزمن أم قصر- سيكون لنا.

وسيسود العدل مزرعتنا هذه، وسنصبح أحرارًا وأسياد أنفسنا.

فكروا بذلك جيدًا يا أصدقاء فيما تبقى من حياتكم القصيرة، وأهم من ذلك كله بلغوا وصيتي هذه لمن يأتي بعدكم؛ لكي ترفع الأجيال القادمة راية النضال حتى النصر.

وتذكروا دائمًا أن لا يخبو عزمكم وإصراركم على الثورة أو الموت دونها، ولا تُصدِّقوا إذا قيل لكم: إنَّ بين الحيوان والإنسان مصالح مشتركة، وإنَّ ازدهار أحدهما مرهون بازدهار الآخر.. كلا يا أصدقاء .. كلا، هذه أكذوبة كبيرة، فالإنسان مخلوق أناني، لا يحب غير نفسه.. أما بينكم فأقيموا علاقات مصيرية كاملة؛ من أجل الكفاح ضد عدوكم المشترك.

والآن لم يبقَ لديَّ مما أردتُ قوله إلا القليل، وأذكركم مرة ثانية: لا تنسوا التزامكم العدواني تجاه كل وسائل معيشة الإنسان .. من يمشي على رجلين فهو عدو، ومن يمشي على أربعة أو يطير فهو صديق.. تذكروا أيضًا - في غمار حربكم ضد الإنسان- أن لا تتشبهوا به، ولا تقتبسوا رذائله، حتى إذا سيطرتم عليه، لا يجب على حيوان أن يسكن منزلًا، أو ينام على سرير، أو يرتدي ثيابًا، أو يشرب خمرًا، أو يدخن تبغًا، أو يلمس نقودًا، أو يعمل بالتجارة؛ فجميع عادات الإنسان سيئة، وأهم من ذلك كله أن لا يستبد حيوان بأخيه الحيوان، سواء كان قويًّا أو ضعيفًا، ذكيًّا أو لا .. نحن إخوة جميعنا، وكلنا متساوون.

والآن أيها الأصدقاء، سأروي لكم ما شاهدته في منامي ليلة أمس، ولكن سيتعذر عليَّ وصف الحلم بتفاصيله.. إنَّه باختصار رؤية لمستقبل الأرض خالية من جنس البشر، ولقد أعاد هذا الحلم لذاكرتي حدثًا مر عليه زمن طويل.. ذكرني بأيام خلت حين كنت خنزيرًا صغيرًا.. فقد كنت أسمع أمي وصديقاتها يترنمن بأنشودة لم يكن يَعْرِفنَ منها سوى النغم، وكلماتها الثلاث الأولى.. وتعلمت أن أنشد معهن تلك الكلمات، غير أني لم أعد -بعد أن بلغت من العمر أرذله- أذكر شيئًا منها.

وليلة أمس راودني ذلك المشهد في منامي، وأكثر من ذلك تداعت كلمات الأغنية كلها إلى ذاكرتي، ويقيني -أيها الأصدقاء- أن الحيوانات قد أنشدت هذه الأغنية نفسها في زمن بعيد مضى.

إنني -كما تعلمون- عجوز غليظ الصوت، ولكن هذا لن يحول بيني وبين التغني بها على مسامعكم؛ لكي تسمعوا لحنها وتحفظوه، وستغدون قادرين على أدائها بأنفسكم..

هذا النشيد - أيها الأصدقاء - يُسمى «حيوانات إنجلترا».

تنحنح العجوز ميجر أكثر من مرة، وبدأ يغني.. أنشد الأغنية بصوت - وإن كان أجشَّ- مثيرٍ للحماس:

يـــا وحـــــوش إنجلـــترا　　　وقطيـــع إيرلنـــدا العتيـــد

مـــــن صـــغير وكبـــير　　　وقــــــريب وبعيـــــــد

إنهـــــا بشرى المـــــــنى　　　إنـــه الفجـــر الجديـــد

عـــن غـــد يحطـــم فيـــه　　　الـــوحش أغـــلال القيـــود!

يـــا وحـــــوش إنجلـــترا　　　وقطيـــع إيرلنـــدا العتيـــد

***

عـــن غـــد ينقـــلب الظلـــم　　　وتنهـــــــد المعاقـــــــل

دولة الإنســـــــــان دالت　　　وهـــو في الأعقـــاب زائـــل

ليست الأرض لإنسيّ من الأشرار قاتل!

إنمـــا الأرض لمـــــن كـــد　　　عـــلى الأرض وناضـــل ..

***

لا كـــانت أســـباب الحيـــف　　　أو كـــانت حلقـــات الأنـــف

لا كـــان السرج بأظهرنـــا　　　أو كـــانت فرقعـــة الســـوط

أو كـــانت ألـــوان الخـــوف　　　إن الإنســـــان الجبـــــار إن

***

الفــول لنــا والقمــح لنــا	والقــرطم والبرســيم لنــا
نمحــو الإنســان مــن الدنيــا	لنقــيم دعــائم دولتنــا
ونــرد مظــالم إخوتنــا	ونعــز مبــادئ ثورتنــا

***

الثــورة بوتقــة الغضــب	ثــورة لليــوم المرتقــب
مــرحى بالكــد وبالتعــب	ثــوروا لليــوم المرتقــب
مــن حقــق حلمًــا قــبلكمُ	إلا بــالسعي وبــالدأب
ســنثور كألسنــة اللهــب	ســعيًا للحــق المغتصــب!

***

أثار هذا النشيد روح الحماس بين الحيوانات، وما كاد ماجور يصل إلى نهايته حتى أخذت تردده من جديد لأنفسها، وكان هذا مثيرًا للعجب، حتى الحيوانات التي لا تتميز بالذكاء، استطاعت التقاط بعض أنغام النشيد، وبعضًا من عباراته! .. أما الحيوانات ذات الذكاء - كالكلاب والخنازير- فقد حفظته عن ظهر قلب في دقائق معدودة، وبعد عدة محاولات، اتسقت أصوات الحيوانات على اختلافها في ترديد نشيد "يا وحوش إنجلترا" في نسق واحد، دون أي نشاز يُذكر.

البقر بخواره، والكلاب بنباحها، والغنم بثغائها، والخيل بصهيلها، والطيور بهديلها، غمرها النشيد نشوة عارمة، حتى أنها أعادته خمس مرات متوالية، ولو أتيحت لها الفرصة لما سكتت عن ترديده .. إلا أن الضوضاء أيقظت مستر جونز، فظن أن ثعلبًا قد تسلل إلى المزرعة، فقفز من فراشه، وأخذ بندقيته التي يحتفظ بها بالقرب من سريره، وأطلق منها عدة رصاصات، استقرت في حائط حظيرة الاجتماعات، وبذلك أُسدل الستار على الاجتماع، وهرعت الحيوانات إلى مضاجعها، والطيور إلى أعشاشها، وفي لحظات أصبح الجميع في سُبات عميق.

***

الفصل الثاني

بعد ثلاثة أيام من ذلك الحدث - وكان ذلك في أوائل شهر مارس- داهم الموت العجوز ماجور في فراشه .. فارق الحياة بسلام، ودُفن في جانب من بستان الفواكه. وإن مات كبير الخنازير، إلا أن محاضرته كان لها صداها الكبير على الحيوانات التي تمتاز بالذكاء، وأعطى حياتها بعدًا جديدًا، ومعنًى آخرَ لم تكن تُدركه من قبل .. فبدأت في تنظيم حركات سرية في الأشهر الثلاثة التي تلت وفاته.

لا أحد يعلم متى ستنطلق شرارة الثورة التي تنبأ بها ماجور، ولم يكن ثمة ما يحمل على الاعتقاد أنها ستتحقق خلال حياة الحيوانات التي اجتمعت، واستمعت للعجوز وهو يدعوها إلى حمل وصيته، وتبليغها إلى الأجيال القادمة، لكن على الرغم من ذلك، كانت الحيوانات مؤمنة أن من واجبها التحضير والإعداد للثورة.

وكان من الطبيعي أن تضطلع الخنازير بمهمة توعية وتدريس بقية الحيوانات وتنظيمها؛ فهي -وباعتراف الجميع- أكثرها ذكاءً .. وكان من بينها خنزيران يافعان لهما شأن كبير: الأول يُدعى سنوبول، والآخر اسمه نابليون، كان يعدهما مستر جونز للبيع.

كان نابليون ضخم الجثة وقبيح الطلعة .. ولد في مقاطعة بركشاير .. لا يجيد الكلام، ولكنه مع ذلك كان يصل لما يريد بطريقته الخاصة، فالغاية عنده دائمًا تُبرر الوسيلة .. أما سنوبول فكان خنزيرًا مفعمًا بالحيوية، وأكثر نشاطًا عن نابليون، وكان طليق اللسان، وسريع البديهة، وله قدرة على الابتكار، ولكن شخصيته كانت أقل عمقًا من نابليون.

ومن بين الخنازير التي كانت تنتظر ذبحها واحد اسمه سكويلر .. سمين الجسد، وذو وجه مدور، وعينين لامعتين، وكان رشيق الحركة وحاد الصوت .. كان سكويلر متحدثًا بارعًا، له قدرة رهيبة على الحوار والإقناع؛ مما حدا بالحيوانات الأخرى إلى القول إن باستطاعة "سكويلر" تحويل الحق باطلاً والباطل حقًّا!

لقد عمل الثلاثة على توسيع مضامين حديث العجوز ماجور، وجعلوا منها نظامًا فكريًّا متكاملاً، أطلقوا عليه اسم "الحيوانية"، وأخذوا ينظمون اجتماعات سرية ليلاً، حين يأوي مستر جونز إلى فراشه؛ لشرح أسس ومبادئ الحيوانية .. بيد أن لقاءاتهم الأولى اتسمت بكثير من النقاش السطحي واللامبالاة .. كانت بعض الحيوانات تطرح مسألة الولاء للسيد جونز، وكانت تُشير إليه بلقب "السيد"، أو تُبدي ملاحظات عفوية، مثل:

- "السيد جونز يطعمنا، وسنموت جوعًا إذا غاب".

وكان بعضها الآخر يسأل: "لماذا نكترث بشأن ما سيحدث بعد موتنا؟".

أو تقول:

- "بما أن الثورة ستتحقق في نهاية المطاف، فما الفرق بين أن نعمل من أجل حدوثها أو لا نعمل؟".

وكانت الخنازير تؤكد لها أن كل ذلك مخالف لمبادئ الحيوانية، أما أسخف الأسئلة فكانت تطرحها مولي، المهرة البيضاء؛ كقولها في أحد الاجتماعات:

- هل سيُسمح لي بتعليق الأشرطة على رقبتي؟

فأجابها سنوبول:

- يا صديقتي إنَّ الأشرطة التي تغرمين بها، والتي تطوق رقبتك وتضفر عرفك، ليست سوى شعارٍ للعبودية، فالحرية أسمى وأغنى كثيرًا!

كما أنهم وجدوا تعنتًا واضحًا من قبل موسي الغراب، كما وجدوا صعوبة في مواجهة حملته الخبيثة المضادة، من نقل الكلام، وإفشاء الأسرار، ونشر الإشاعات المحبوكة. فكان يقنع الحيوانات بوجود

مدينة غريبة تسمى "جبل الحلوى"، تُبعث فيها الحيوانات بعد الموت، وهي وراء الغيوم مباشرة في السماء، وفي هذه المملكة السماوية سترتاح الحيوانات من عناء العمل الدنيوي، ولها ما تشاء من برسيم في كل الفصول، كما تنمو أسوار من الفطائر اللذيذة والحلوى حول حقول البرسيم.

وعلى الرغم من بُغض الحيوانات لكسل وخبث موسي، إلا أن بعضهم آمن بنبوءته عن مملكة "السكر نبات"، حتى وإن نفت الخنازير تلك المملكة.

وكان بوكسر وكلوفر أكثر الحيوانات إخلاصًا وانضباطًا لهذه الدعوة .. ومع أنهما كانا يواجهان صعوبة في التفكير، إلا أنهما شديدا الثقة بالخنازير، وسريعا الاستيعاب لما تقوله .. كانا حريصين على حضور الاجتماعات السرية التي تُعقد في الحظيرة، وكانا أول من يتغنى بأنشودة حيوانات إنجلترا التي تنتهي بها الاجتماعات عادة.

***

يبدو أن الظروف تهيأت لقيام الثورة قبل أوانها؛ فقد ساءت أحوال حياة السيد جونز، في السنوات الأخيرة كثيرًا. وعلى الرغم من أنه كان فلاحًا قديرًا، إلا أن الأمور أخذت منحى لغير صالحه .. لا سيما بعد أن فقد ثروته في دعوى قضائية.

وأخذ يُسرف في الشرب على نحو أضر بصحته، وأهمل عمله .. كان يمضي أيامًا بساعاتها جالسًا على مقعده في المطبخ يعاقر الخمر، ويقرأ الجرائد، ويرمي فتات الخبز إلى الغراب موسي بعد أن يبللها بالبيرة .. تاركًا عمل المزرعة لرجاله الذين حذوا حذوه، فامتلأت الحقول بالحشائش الضارة، وتداعت أسقف بعض المباني، بعد أن أهمل صاحب المزرعة صيانتها، ولم تجد الحيوانات من يعتني بها، فرجاله ليسوا أفضل حالاً منه؛ فهم لا يحركون ساكنًا أيضًا.

وذات مساء صيفي، ذهب السيد جونز إلى حانة المدينة لتناول الخمر، ولم يعد إلى المزرعة إلا في منتصف اليوم التالي. أما رجاله فقد حلبوا الأبقار في الصباح الباكر، وذهبوا لصيد الأرانب، من دون أن يتجشموا عناء إطعام الحيوانات. وعاد السيد جونز إلى المزرعة .. كان متعبًا من شدة السكر، فنام في مقعده والجريدة على وجهه.

دخل الليل على الحيوانات من دون طعام، فنفدت مقاومتها، ولم تستطع على الجوع صبرًا .. وكان لا بدّ مما ليس منه بدّ، فحطمت إحدى البقرات بقرونها باب مخزن المؤنة، وتبعتها بقية الحيوانات إلى داخل المخزن، وأكل كل حيوان ما استطاع أكله.

وعلى أصوات الصخب الذي أثارته الحيوانات الجائعة، استيقظ السيد جونز، واستدعى رجاله على وجه السرعة، وخلال دقائق دخل

مع أربعة منهم المخزن، وأوسعوا الحيوانات ضربًا بسياطهم، وركلاً بأحذيتهم الثقيلة كيفما اتفق.

وكان ذلك أكثر مما تستطيع الحيوانات الجائعة تَحَمُّله .. وبالإجماع، ومن دون تخطيط مسبق، صبت الحيوانات جام غضبها على مستعبديها، ووجد السيد جونز ورجاله فجأة أنفسهم وسط حيوانات هائجة، تنطحهم وترفسهم، وتعضهم من كل صوب وجانب، وخرج الوضع عن نطاق سيطرتهم .. فقد أصابهم التمرد المفاجئ لحيوانات اعتادوا ضربها، وإثارة هلعها كلما حلا لهم، بالذعر والخوف، وسرعان ما كفوا الدفاع عن أنفسهم، وولوا الأدبار، مطلقين سيقانهم للريح على الطريق المؤدية إلى البوابة الرئيسة، والحيوانات تجري خلفهم، حتى أخرجتهم إلى الطريق العام، وأوصدت البوابة خلفهم.

وحينئذ -فقط- أدركت الحيوانات ما حدث .. لقد قامت الثورة وكُللت بالنجاح، وطُرد جونز وزوجته، وأصبحت المزرعة ملكًا لها.

كان الحدث عظيمًا، ويصعب تصديقه! وأصاب الذهول الحيوانات كافة، حتى أكثر المتفائلين بسرعة قيام الثورة .. وحينما استوعبت الحيوانات الثائرة حقيقة ما جرى، أسرعت إلى تفتيش أرجاء المزرعة؛ للتأكد من أن لا أثر للإنسان داخل حدودها، ثم أقفلت

عائدة إلى مباني المزرعة؛ لإزالة ما تبقى من عهد جونز المقيت، فكسرت باب مخزن العدة، وأخرجت شكائم اللجام، وحلقات الأنف، والأربطة، والسكاكين المرعبة التي كانت تُذبح بها الخنازير، وألقت بها في البئر كافة. أما السياط فقد أضرمت فيها النار، وسط فرحة الحيوانات وسعادتها الغامرة. وفي غضون دقائق، اختفى كل ما يمت بصلة لعهد جونز.

وبعد ذلك، قادها سنوبول إلى بيت المؤنة، وقدم لها حصة مضاعفة من الذرة، وقرصين من البسكويت لكل كلب، وأنهت الحيوانات الليلة الأولى بعد قيام الثورة بإنشاد أغنية "حيوانات إنجلترا" سبع مرات، وخلدت إلى مرابضها، ونامت كما لم تنم من قبل.

***

استيقظت الحيوانات عند بزوغ الفجر كعادتها، وفجأة تذكرت الحدث الرائع الذي شهدته المزرعة يوم أمس، فأسرعت إلى المرعى؛ حيث تجمعت فوق ربوة تطل على أرجاء المزرعة كلها. ووقفت، والدهشة تكتظ بها محاجر عيونها .. تُحدق في أرجاء المزرعة على ضوء الصباح الصافي .. نعم .. لقد تحقق الحلم، وصدقت "نبوءة" العجوز ماجور، وأصبحت المزرعة وما فيها، وكل ما تراه أمامها ملكها.

وراحت الحيوانات -مأخوذة بنشوة الانتصار، والفرحة بما تحقق لها- تقفز من مكان إلى آخر.. كلٌّ يعبر حسب طريقته عن سعادته.. تدحرج بعضها في التراب المبلل بالندى، وراح بعضها يقضم العشب الطري، وأخرى أخذت تستنشق رائحة الأرض الزكية، ووقفت أخرى تبتسم، وتهز رأسها زهوًا بما تراه!

وفي غمرة سعادتها، راحت الحيوانات تتجول في أرجاء المزرعة، وتبدي إعجابها بكل ما تراه، وكأنها ترى ذلك لأول مرة، غير مصدقة أن كل ذلك أصبح ملكها .. أكوام العشب، وبستان الفاكهة، ومراعي الخيول الخضراء، وبركة الماء!

وأقفلت عائدة إلى مباني المزرعة .. منزل جونز استحال ملكها أيضًا؛ لكنها وقفت مترددة أمام باب المنزل .. كانت خائفة من الاقتراب منه! وبعد لحظات من الصمت والرهبة، قام سنوبول ونابليون بدفع الباب بأكتافهما، ودخلت الحيوانات المنزل في صف واحد، وفي منتهى الحذر؛ خوفًا من إفساد محتوياته.

ثم تجولت في أرجاء المنزل من غرفة إلى أخرى .. تمشي على أطراف أصابعها، ويهمس بعضها للبعض الآخر، وكانت تحدق برهبة ودهشة فيما تراه من ترف عيش ونعيم حياة: أغطية الأسِرَّة المبطنة بالريش الناعم، والمرايا الفاخرة، والأرائك الوثيرة المبطنة بوبر الخيول،

والتحف النادرة من العصر الفكتوري.

وقبل أن تغادر الحيوانات دارَ السيد جونز، اتخذت قرارًا جماعيًّا بالحفاظ على المنزل، وتحويله إلى متحف، واتفقت على ألا يسكنه من الحيوانات أحد، وألا يستخدم ما فيه من أثاث وأدوات!

***

بعد تناول الحيوانات طعام الإفطار، دعاها سنوبول ونابليون للاجتماع من جديد.

- يا رفاق!

بدأ سنوبول خطابه، وقال:

- الساعة السادسة والنصف الآن، وبانتظارنا يوم عمل طويل؛ فاليوم سنبدأ جز الحشيش، لكن قبل ذلك ثمة أمر آخر غاية في الأهمية، ينبغي الانتهاء منه.

تبين أن الخنازير أمضت الأشهر الثلاثة الأخيرة تُعَلِّم أنفسها القراءة والكتابة، بالاستعانة بكتاب تَهْجِئَة قديم، يخص أطفال جونز، وجدته في كومة النفايات. فقد أرسل نابليون أحدهم لإحضار عبوات من الصبغ الأبيض والأسود، ثم قاد الجميع إلى البوابة الرئيسة؛ حيث وقف سنوبول وقد أمسك بحافره فرشاة كبيرة -وكان

أفضل من يجيد الكتابة من بين الخنازير- ومسح اللوحة التي كُتب عليها "مزرعة جونز"، وخط مكانها: "مزرعة الحيوان"، معلنًا عن تغيير اسم المزرعة، وإشهار اسمها الجديد من الآن فصاعدًا.

وانتقل الجميع في أعقاب ذلك إلى مباني المزرعة؛ حيث أرسل سنوبول بطلب السلم، وأمر بوضعه على جدار الحظيرة الكبيرة. وصرَّح سنوبول ونابليون أن الخنازير نجحت خلال دراستها في الأشهر الثلاثة الأخيرة في اختصار مبادئ الحيوانية إلى سبع وصايا، وقال: إنها ستُدوَّن على جدار الحظيرة، وستغدو -منذ اليوم- قانونًا يلتزم الجميع بتطبيقه، وهو غير قابل للتغيير.

وبصعوبة تسلق سنوبول السلم، وتبعه سكويلر حاملاً علب الأصباغ، وكتب الوصايا على الجدار بأحرف كبيرة بيضاء، يمكن قراءتها من مسافة ثلاثين ياردة، وهي كالآتي:

الوصايا السبع:

أولاً: كل من يمشي على رجلين اثنين إنما هو من الأعداء !

ثانيًا: كل من يدب على أربع، أو له جناحان إنما هو من الأصدقاء!

ثالثًا: غير مسموح للحيوانات بارتداء الملابس !

رابعًا: غير مسموح للحيوانات بالنوم على الأسِرّة !

خامسًا : غير مسموح للحيوانات بشرب الخمر !

سادسًا: على الحيوان ألا يقتل حيوانًا آخر !

سابعًا: كل الحيوانات سواسية !

ما أن انتهى سنوبول من كتابة الوصايا، حتى قرأها على الأميين منهم بصوت مرتفع .. الذين ظلوا يهزون رءوسهم كلما أنهى قراءة وصية منها .. بالموافقة حينًا، وبالإعجاب حينًا آخر، في حين حفظتها الحيوانات الأكثر ذكاء عن ظهر قلب.

بث سنوبول -بعد أن ألقى الفرشاة جانبًا- روح التحدي في نفوس الحيوانات قائلاً:

- والآن -أيها الرفاق- هلُمَّ بنا إلى حقل العُشْب؛ لكي نجعل من مهمة حصاده بسرعة أكبر من تلك التي يعمل بها جونز ورجاله مسألة شرف!

وفي غضون ذلك، أبدت الأبقار الثلاث انزعاجها، وعبرت عن ذلك بالخوار بصوت مرتفع، بعد أن صعب عليها التحرك؛ بسبب امتلاء أضرعها بالحليب؛ فقد مضى عليها أربعٌ وعشرون ساعة منذ آخر مرة أفرغت أثداؤها التي كانت على وشك الانفجار، فأرسلت الخنازير لجلب دلاء حفظ الحليب، وتولت حلب الأبقار بنفسها،

وسرعان ما امتلأت الدلاء بالحليب .. الأمر الذي أثار اهتمام بقية الحيوانات، فسأل أحدها:

- ماذا سيحدث لكل هذا الحليب؟

فردت إحدى الدجاجات:

- كان جونز يمزج شيئًا منه في طعامنا.

فصاح نابليون: لا عليكم بشأن الحليب، سنهتم بأمره.

وأضاف -وهو يرمق الدجاجة بعين- بعد أن تمعن في الدلاء:

- المهم الآن الحصاد .. هَلُمَّ يا رفاق إلى الحقل، سيتقدمكم الرفيق سنوبول، وسألحق بكم بعد دقائق معدودة.

وهكذا انتلقت الحيوانات بهمة ونشاط إلى حقل العشب؛ لبدء الحصاد، وحين عادت مساءً بعد أن مضى يوم عمل كامل، لم تجد للحليب أثرًا!

***

الفصل الثالث

حصدت الحيوانات نتيجة تعبها وكدحها، وكوفئت بمحصول وافر .. ولم تكن تتوقع أن العمل بهذه الصعوبة، فأدوات الزراعة والحصاد مُصممة لاستخدام الإنسان، وكان من الصعب عليهم استخدامها، فاضطرت للوقوف على أقدامها الخلفية، والإمساك بالآلات بالأرجل الأمامية، وكان هذا من الصعب تحمله؛ لأنه عكس طبيعتهم، فبذكاء الخنازير، وحسن تصرفهم، عملت على تذليل هذه الصعوبات وتسهيلها عليهم.. على العكس كانت الخيل على علم ودراية كافية بخبايا العمل في الحقول، وطرق الحش والجرف أفضل من جونز ورجاله.

تولت الخنازير الزعامة؛ نظرًا لذكائها، وقد تخصصت في الأعمال الإدارية والإشراف، وتركت للحيوانات الأخرى العمل الحقلي، وتولى بوكسر وكلوفر جر الآلات والجرف والحرث والحصاد، في حين كانت تطلق الخنازير صيحات لحث وتشجيع الحيوانات على العمل.. وقد تولت الحيوانات أعمالها كلًّا وفقًا لطاقته وخبرته، حتى البط والدجاج كان لهم نصيب من العمل، فكانوا يحملون ما يستطيعون حمله من الدريس بمناقيرهم .. وعلى الرغم من ضخامة المحصول إلا

أنهم استطاعوا جمعه في يومين، وهي فترة قليلة إذا ما قورنت بالوقت الذي كان يستغرقه العمل في الماضي، ولم تهدر منه شيئًا؛ فقد تولى الدجاج والبط جمع ما يتطاير من الدريس، كما أنهم لم يسرقوا من المشروع أي شيء!

وانتظم العمل طوال الصيف كالساعة، وبلغت سعادة الحيوانات منتهاها، فيأكلون مما يزرعون، وأصبح المحصول كاملاً لها، بعد أن كان يقدم لهم جونز الفُتات، وقد عم الخير عليهم بعد تخلصهم من الإنسان عديم الجدوى بالنسبة لهم، وزادت أوقات فراغهم، على الرغم من كل هذه الأعمال التي يقومون بها. ولعدم خبرتهم بمجال الزراعة فقد واجهتهم الكثير من المشاكل، فلم يكن لديهم آلة لدرس القمح بعد حصاده، فلم يكن لديهم حل سوى اتباع الأساليب القديمة، وهي المشي على القمح حتى يُفرك، ثم النفخ فيه للتخلص من التبن .. وكان بوكسر بعضلاته القوية عونًا لهم، وكان يبذل أضعاف الجهد الذي كان يبذله أثناء عمله مع جونز، وقد عجزت ثلاثة خيول عن بذل هذا الجهد! ففي واقع الأمر، معظم العمل يقع على عاتقه، وكان يؤديه بسهولة بين إعجاب رفاقه، فكان يؤدي عمله منذ بزوغ الشمس حتى غروبها ما بين جر ودفع. وقد اتفق مع أحد الديوك أن يوقظه قبل ميعاد العمل المقرر بنصف ساعة، على سبيل التطوع، وكان دائمًا ما يردد شعاره "سأعمل كثيرًا"، كلما واجهته أو

المزرعة ضائقة أو صعوبة، أما باقي الحيوانات فكانت تؤدي ما عليها بإخلاص، فكل منهم كان له دوره القوي والفعال؛ حيث أنقذ الدجاج والبط الأعواد المتطايرة من المحصول، وبهذا حصلوا على محصول كامل دون نقصان. كما امتنعت الحيوانات عن السرقة وعن الشكوى من قلة الغذاء، كما امتنعوا أيضًا عن الغيرة السوداء فيما بينهم، وعراك وعض بعضهم البعض، كما كان في السابق! ولم يتقاعس أحد منهم عن العمل سوى المهرة مولي، التي كانت تستيقظ بعد مواعيد العمل، وتختلق الأعذار الواهية كي تذهب قبل نهايتها. وكانت أيضًا تصرفات القط مريبة ومثيرة للشكوك، فكان يختفي في بداية العمل، ولا يظهر إلا عند انتهائه أو عند الغداء وكان أيضًا يبرر ويموء بإخلاص، ويختلق الأعذار إذا ما عوتب على تصرفاته، أما الحمار بنيامين فلم تغيره الثورة، فظل متبعًا قناعاته القديمة من عناد وبطء في العمل، كما أنه لا يتطوع بالمزيد، أما عن أفكاره ومعتقداته، فكان شديد التحفظ، ونادرًا ما يبدي رأيه بصراحة.

فإذا سُئل عن رأيه في العهد الجديد في ظل الثورة كان يتهرب من السؤال بجواب لا يمت إليه بصلة كأن يقول: إن الحمير حياتهم طويلة، هل رأي أحد منكم حمارًا نافقًا، كما اتبعت رفيقاته من الحيوانات هذا الأسلوب للمراوغة.

كانت العطلة الأسبوعية يوم الأحد، فكانت تتناول الحيوانات فطورها في ساعة متأخرة، فإذا ما انتهت من فطورها، كانت تؤدي بعض الطقوس التي اعتادوا أداءها في العطلات، ففي الصباح يرفعون علمًا أخضر كان يستخدمه جونز مفرشًا، فأخذه سنوبول وزيَّنه بحافر وقرون، وقام سنوبول بشرح دلالات اللون الأخضر والحافر والقرن، فرمز اللون الأخضر إلى حقول إنجلترا الخضراء، أما الحافر والقرن فيرمزون لجمهورية الحيوان، فهي البداية للجمهورية الكبرى إذا تم الانقلاب على الحكم الإنساني كله في إنجلترا.

بعد تحية العلم تتجه الحيوانات إلى الحظيرة الكبرى؛ لحضور ندوة لمناقشة أعمال الأسبوع القادم، ويتم التصويت عليها، وكانت الآراء والمقترحات تُقدم من قِبل الخنازير، وتُطرح بعد ذلك على الحيوانات للاتفاق والتصويت عليها .. ومن الجدير بالذكر أن سنوبول ونابليون كانا من أبرز الحيوانات في المزرعة، وكانوا الأكثر نشاطًا والأرجح رأيًا في هذا المجال، وإن لم يتفقا؛ فإذا طرح أحدهما رأيًا ولاقى هذا الرأي تأييدًا من الحيوانات، فكان الآخر يُثير الشكوك والخلافات حول تفاصيله، فحينما اتفقت الحيوانات على إقامة مرعى للمسنين من الحيوانات خلف حديقة الفاكهة اختلفوا معًا على السن المناسب للتمتع بهذه الخدمة في المرعى.

كان نشيد "يا وحوش إنجلترا" هو السائد في نهاية كل اجتماع.. أما بعد الظهيرة فكان مخصصًا للتنزه.. حولت الخنازير مخزن المعدات إلى مركز للقيادة، تُدرب فيه الحيوانات على الكثير من الحرف التي تساعدهم في الزراعة؛ كالنجارة والحدادة، وقد توصلت لمبادئ تلك الحرف من خلال ما تركه جونز من كتب، كما قام جونز بتكوين لجان عمل.. فكانت هناك لجنة من الدجاج لإدارة شئون البيض، ولجنة من البقر تُسمى الذيول النظيفة، كما تشكلت لجنة الصوف الأنصع بياضًا من الغنم، كما كونت لجان لمحو الأمية. فلم يحالف النجاح هذه اللجان؛ حيث استمرت الحيوانات البرية في توحشها، وكانت الأنانية والاستغلال من أهم سماتها .. وكان للقط دور واضح في ترويض الحيوانات البرية، فكثيرًا ما كان يحث العصافير على التآخي والإيمان بمبادئ الثورة، فلم يلقَ هذا المجهود النجاح، وعلى العكس قد كان للجان محو الأمية نصيبًا من النجاح .. وبحلول الخريف كانت الحيوانات قد نالت قدرًا لا بأس به من التعليم، وعلى دراية تامة بقواعد القراءة والكتابة.

كان للخنازير النصيب الأكبر من التعليم، ومعرفة قواعد القراءة والكتابة، أما الكلاب فكانت إلى حدٍّ ما قادرة على القراءة، وبصفة خاصة قراءة الوصايا السبع، أما العنزة موريل فأجادت القراءة أكثر

من الكلاب، فكل مساء كانت تقرأ بعضًا من أخبار الصحف القديمة على رفيقاتها بالمزرعة، كما أن قُدرة بنيامين على القراءة كانت تضاهي قدرة الخنازير، إلا أنه كان لا يحب إبراز هذه الموهبة، وكان مبرره لهذا أنه لا يوجد في الحياة ما يستحق عناء البحث والقراءة.

أما عن كلوفر فقد تعلمت الحروف الهجائية منفصلة، وعجزت عن استخدامها في كلمات أو جمل، أما بوكسر فقدراته العقلية لم تستطع استيعاب أكثر من الأربعة أحرف الأولى، وكان يقوم بكتابة هذه الحروف على التراب بحافره الكبير، ثم يهز رأسه بقوة؛ ليتذكر ما بعدها من حروف، ولكن لا يُحالفه التوفيق، فإذا حالفه التوفيق مرة وتذكر ما بعدها، فإنه ينسى الأحرف الأولى التي بذل لحفظها مجهودًا كبيرًا؛ فلذلك قرر أن يتوقف عند هذه الأحرف الأربع. أما عن المهرة مولي، فلم تهتم بالدراسة، ولا تعرف من الحروف إلا حروف اسمها التي لطالما كتبتها على أوراق الشجر المتناثرة، ثم تزينها بالزهور، وتقوم بالتنقل بينها ذهابًا وإيابًا بدلال بالغ!

بعض الحيوانات لم تحفظ سوى حرف الألف، كما عجزت الغنم والحيوانات التي تشاركها الغباء -كالبط والدجاج- عن حفظ واستيعاب الوصايا السبع؛ ولذلك فلقد اختصرها سنوبول في جملة واحدة، ألا وهي "ذوات الأربع أخيار، وذو القدمين أشرار".

فمن وجهه نظره أنها قد تحمي الحيوانات من التأثر بالجنس البشري.. ولكن الطيور احتجت على هذا الاختصار؛ لأنه لا يتضمنها في نص صريح كالوصايا السبع، فهي لا تمشي على أربع، لكن سنوبول حاول إقناعها بأن أجنحة الطيور من أجهزة الحركة، وتعتبر كالأرجل، وليست كالأيدي؛ ولكن قدرتها العقلية لم تمكنها من استيعاب هذا الجدل، إلا أنها اقتنعت بالصورة المبسطة للفكرة، وداومت ترديدها بالساعات دون ملل "ذوات الأربع أخيار، وذوو القدمين أشرار".

أبدى نابليون عدم اكتراثه بلجان سنوبول، مبررًا ذلك بأن لا فائدة من تعليم حيوانات كبيرة السن، وإضاعة الوقت والجهد معهم، والأولى بذلك الحيوانات الصغيرة.

بعد موسم الحصاد تم ولادة تسعه جراء من الكلبتين جيسي وبلوبل، وعندما بلغت الجراء الفطام، عزلها نابليون عن الكلبتين وعن باقي الحيوانات في حجره، مهجورة أعلى مخزن الأدوات؛ ليتولى مسئولية تعليمها وتدريبها .. وبمرور الوقت نسيت الحيوانات أمر وجود هذه الجراء، وانشغلوا عنها بأمور أخرى، لكنهم فطنوا مؤخرًا لأمر اختفاء اللبن، وأن الخنازير تستحوذ عليه في أكلها، وكذلك الأمر في بواكير محصول التفاح؛ فقد أصدرت الخنازير أوامر بجمع ما تُلقي به الريح، وتُقدم وجبات للخنازير فقط؛ مما أثار سخط الحيوانات؛ لأنه

كان من المتفق عليه أنها ستوزع على الحيوانات بالتساوي، لكن الخنازير أجمعت على اتخاذ هذا القرار، فلم تجد الحيوانات بدًّا من الإذعان.. فقد بعثت الخنازير مندوبًا عنها - وهو "سكويلر"- لإقناع الحيوانات بشرعية هذا الأمر، فأمر بجمع الحيوانات، وخطب فيهم قائلاً:

رفاقي .. إياكم أن تظنوا أن هذا القرار أُخذ للتميز بيننا؛ فالكثير من الخنازير لا تتقبل طعم اللبن أو التفاح وأنا أولهم، إلا أننا مضطرون لذلك؛ فالغرض الحقيقي وراء ذلك القرار هو المحافظة على الوجبات المتكاملة طبقًا للوصفات الطبية التي تُحتم تناول تلك الوجبات؛ للحفاظ على طاقتنا الذهنية؛ حتى نتمكن من مداومة أعمالنا في التنظيم والإدارة، والأعمال الأخرى التي تعتمد عليها المزرعة، فكما ترون رفقائي نحن نشرب اللبن ونأكل التفاح مُرغمين من أجلكم، ومن أجل مصالحكم، فأنتم لا تُدركون خطورة ما سيحل بكم إذا فشلت الخنازير في مهامها .. سيعود جونز مرة أخرى! نعم جونز بنفسه رفاقي .. كان يخطب بحماس منقطع النظير، وهو يهز رأسه، واستكمل حديثه قائلاً: من منكم يريد عودته؟ وما أنا متأكد منه أن لا أحد منكم يتقبل ذلك. وبناءً عليه، فقد تمت الموافقة على قرار الخنازير للحفاظ على صحتهم، وتوفير اللبن لهم، وكذلك بواكير التفاح؛ بل محصول التفاح كاملاً بعد نُضجه!

الفصل الرابع

بنهاية الصيف انتشر خبر ثورة حيوانات مزرعة جونز في أرجاء كثيرة من البلاد. وفي كل يوم كان سنوبول ونابليون يرسلان حملات دعائية لسائر الحيوانات بواسطة الحمام، يحمل لها رسائل الثورة، ويعلمها نشيد الثورة ”يا وحوش إنجلترا“. أما جونز فقد أمضى الفترة منذ طرده من المزرعة مترددًا على حانة ”الأسد الأحمر“.. متظلمًا لكل أذن تسمع، يشكو حاله وما وقع له على يد حيوانات مزرعته!

تعاطف بعض الفلاحين مع جونز ليس حبًّا به، وإنما طمعًا في استثمار وضعه السيئ، وأخذ كل واحد منهم يُفكر في أفضل السبل للاستفادة مما آل إليه حاله.

ومن حسن حظ الحيوانات، كانت المزرعتان المجاورتان مهملتان: إحداها تُسمى فوكسوود، يملكها رجل كسول يُدعى بيلكنجتون .. يقضي معظم أيامه في صيد السمك والقنص، والأخرى تُسمى "بنتشفيلد"، صاحبها رجل قاسي الطباع، يُدعى فردريك، عُرف عنه تورطه في قضايا قانونية، واشتُهر بتعنته في المساومة. ولم يكن الرجلان يكنان لبعضهما من الود شيئًا، ولا كانا على وفاق قط، حتى للدفاع عن مصالحهما المشتركة!

لم يأخذ الرجلان في البداية ما يجري في المزرعة على محمل الجد؛ ظنًّا أن الحيوانات ستعجز عن إدارة شئون المزرعة، وستموت جوعًا بعد أن ينشب الخلاف بينها. وبمرور الأيام، ولم يتحقق شيئًا مما توقعاه، وأصبحت المزرعة مصدر إزعاج لهما، وبدأ يتسلل إلى أنفسهما الخوف من انتشار تمرد المزرعة المجاورة بين حيواناتهم، فبذلا ما في وسعيهما لمنع وصول أخبار نجاح ثورة الحيوانات.

وأخذ الرجلان يُروجان أكاذيب عن الأعمال الشريرة التي تُمارس في مزرعة الحيوان، وكيف تبطش الحيوانات، ويأكل بعضها البعض الآخر، ويستبيح بعضها إناث البعض الآخر!

كانت هذه الروايات -في الحقيقة- ضعيفة المضمون ولا تُصدق. وعلى عكس ذلك، فقد انتشر الخبر في أرجاء الريف كله عن المزرعة العجيبة التي طُرد منها مزارعٌ فاسدٌ، وتدبرت حيواناتها أمر نفسها بنجاح لا يخطر على بال. فقد دأب سنوبول ونابولين طوال الوقت على إرسال أسراب من الحمام إلى المزارع المجاورة؛ لإخبارها بتمرد الحيوانات على الإنسان، وتعليمها "أنشودة حيوانات إنجلترا"!

***

ذات يوم من أيام شهر أكتوبر، بعد أن قامت الحيوانات بحصد الحنطة، واستعدت لدرسها، إذا بالحمام يطير بسرعة وبهبط في حالة من الفزع الشديد، وتنذرهم بأن مستر جونز ورجاله وستة آخرين من مزرعتي "فوكس وود" و"بنشفيلد" قاموا باقتحام البوابة الكبيرة ذات الخمس عوارض، وفي طريقهم إلى مبنى المزرعة، يقودهم جونز، حاملاً السلاح؛ في محاولة منهم لاستعادة المزرعة. كانت الحيوانات على استعداد تام لهذا الهجوم، فقد قرأ سنوبول كتابًا قديمًا عن معارك يوليوس قيصر، وخططه الدفاعية، واستنبط منه خطة للدفاع وأدوار المدافعين، فبمجرد إصدار سنوبول أوامره بالتنفيذ، كان كل في موقعه، وباقتراب الرجال من مباني المزرعة، كان الهجوم الأول لخمس وثلاثين حمامة تحوم على رؤوس المهاجمين، وتلقي عليهم قاذوراتهم، وفي أثناء تعجب الرجال لهذا الهجوم المفاجئ، خرج الإوز من مكمنه، وقام بعضهم في عضلات أرجلهم بوحشية، وكان كل هذا لا يعني سوى مناوشات بسيطة؛ تمهيدًا للمعركة، تهدف إلى إرباك صفوف المهاجمين، وبسهولة بالغة، استطاع جونز ورجاله صد الهجوم الأول بعصيهم الغليظة، وعندها قام سنوبول بتنفيذ خطة الهجوم الثانية؛ ألا وهي خروج بنيامين الحمار وموريل وجميع الغنم يقودهم سنوبول، وقاموا بنطح ونخس ورفس الرجال من كل مكان، وفي كل الاتجاهات، ولكن الرجال تمكنوا من صدهم بعصيهم

وأحذيتهم، وبصيحة من سنوبول كإشارة للانسحاب، قامت الحيوانات بالفرار سريعًا إلى فناء المزرعة. قام الرجال بالتهليل احتفالاً بهذا النصر السريع، فانخدعوا بقرار الحيوانات، وأعقبوها بغير نظام، وكان هذا من ضمن خطة سنوبول، وبدخول الرجال الفناء فاجأتهم الخيول الثلاثة والبقرات الثلاثة وباقي الخنازير المخبأة في حظيرة البقر، فهاجم سنوبول مستر جونز بنفسه، الذي بادره برصاصة من بندقيته أصابته في ظهره إصابة سطحية، كما أصابت هذه الرصاصة الطائشة نعجة، فقتلتها في الحال، وعلى الرغم من إصابة سنوبول، قفز بكل قوة على قدم جونز، فأوقعه على وجهه في الروث، وطاحت بندقيته بعيدًا، أما بوكسر فكان دوره مخيفًا لهم، فكان واقفًا على رجليه الخلفيتين ضاربًا أعداءه برجليه الأماميتين ذات الحدوتين الحديديتين، فقد أصابت ضربته الأولى جمجمة عامل إسطبل من مزرعة فوكس وود، فسقط في الوحل على وجهه فاقدًا للحياة، وقد أصيب الرجال بالذعر من هول هذا المنظر، فألقوا عصيهم ولاذوا بالفرار، فانطلقت خلفهم الحيوانات في الفناء تعضهم وتنطحهم وترفسهم، وتدوس كل من يسقط منهم على الأرض، وكان لكل حيوان منهم طريقته الخاصة في الانتقام، فقفز القط على كتفي رجل من رعاة البقر، وغرس مخالبه في عنقه، فجعله يصرخ من شدة الألم، وعندما اتضح للرجال مخرجًا لهم من فناء المزرعة، انطلقوا نحوه؛ قاصدين طريق النجاة.

انتهت المعركة بعد دقائق من فرار الرجال من حيث أتوا، ولم يبقَ منهم سوى عامل الإسطبل، الذي سقط على وجهه من هجوم بوكسر عليه، فاقدًا للحياة .. حاول بوكسر تقليبه يمينًا ويسارًا، والرجل لا يحرك ساكنًا .. قد تأثر بوكسر تأثرًا شديدًا، وصاح بذعر: لقد مات .. لم أكن أقصد موته .. نسيت أن الحدوة الحديدية في رجلي، فمن سيصدق أنني لم أنتوِ قتله؟! حاول سنوبول تهدئته قائلاً: دع العواطف جانبًا، فالحرب هي الحرب، ولا يوجد في البشر إنسان صالح إلا موتاهم، فأجابه بوكسر وعيناه مغرورقتان بالدموع: إنني لا أحب القتل، حتى لو كان آدميًّا. صاحت إحدى الحيوانات فجأة: أين مولي؟ فلم تظهر طوال المعركة أو بعدها .. انشغلت الحيوانات باختفاء مولي؛ فربما أُصيبت أو اختُطفت من قِبل الرجال، وأخيرًا -وبعد بحث طويل- عُثر عليها في مخزن الدريس، دافنة رأسها فيه من الزعر؛ خوفًا من صوت الرصاص، وبعد أن اطمأنت الحيوانات على سلامة مولي، عادت مرة أخرى إلى الفناء، وقد اختفى العامل الساقط أرضًا؛ فقد أفاق، وانتهز فرصة غيابهم، وفر هاربًا.

اجتمعت الحيوانات؛ ليحكي كل منهم دوره في المعركة بحماس شديد، فاحتفلوا احتفالاً حماسيًّا دون الإعداد له، ورُفعت الإعلام، وعلا نشيد "يا وحوش إنجلترا" في أنحاء المزرعة. كما أقاموا جنازة

للنعجة، وقاموا بدفنها، وزرعوا الصبار على قبرها، وقام سنوبول بإلقاء كلمة على قبرها عن الفداء والتضحية في سبيل الحق، وتحقيق العدالة. وقاموا بتوزيع نياشين حربية للأبطال، وقد تم منح سنوبول وبوكسر نيشان "بطل البهائم" من الطبقة الأولى؛ تخليدًا للانتصار، وكانت هذه الأوسمة عبارة عن حُليات من النحاس، كان يزين بها جونز خيوله عند خروجهم في عطلة الأحد، كما تم منح النعجة القتيلة وسام "بطل البهائم" من الدرجة الثانية.

تم تسمية المعركة بمعركة "زريبه البقر"؛ نسبة إلى الزريبة التي اختبأت بها وهجمت منها على أعدائها .. وقد وجدوا بندقية مستر جونز، فقرروا استخدامها كمدفع يُطلق في المناسبات، كما كان يوجد لها ذخيرة في مخزن جونز، وتم تثبيت البندقية تحت سارية العلم، وسيتم إطلاقها مرتين في العام؛ فالمرة الأولى ستكون في ذكرى "زريبة البقر" في الثاني عشر من أكتوبر، أما المرة الثانية فستكون في عيد "منتصف الصيف"، وهو يوم الثورة على جونز.

***

الفصل الخامس

بحلول فصل الشتاء، أصبحت مولي مصدرًا للإزعاج والمشاكل؛ حيث تتأخر كل صباح عن مواعيد العمل، وكالعادة تختلق الأعذار كتأخيرها في الاستيقاظ لأنها تعاني من آلام عديدة، على الرغم من شهيتها المرتفعة للأكل، فكانت تفعل ذلك لتترك العمل، وتذهب إلى البِركة؛ لتري صورتها في صفحة الماء، كما ذيعت عنها الإشاعات بين الحيوانات، عن صلتها المريبة ببني البشر. وفي أثناء تطلع مولي إلى جمال ذيلها، أقبلت عليها كلوفر، وأخذتها جانبًا تحذرها من أن لديها الكثير من الأمور الخطيرة؛ فقد رأتها في الصباح عند السور الذي يفصل مزرعتهم عن مزرعة فوكس وود، وهي تتحدث مع أحد الرجال عبر هذا السور، وسألتها كلوفر: ماذا يعني ذلك مولي؟ فردت مولي متلعثمة: لم أكلم أحدًا، لم أذهب إلى هناك.. هذا كذب وبهتان.. قالت هذا وهي تشب برأسها، وتحفر الأرض بحافرها.. قاطعتها كلوفر: انظري إليَّ .. هل تُقسمين أن هذا الرجل لم يداعب أنفك؟ فأشاحت بوجهها قائلة: هذا ليس صحيحًا، وانطلقت هاربة إلى الحقل .. جال في ذهن كلوفر أن تذهب إلى مربط مولي، وبالفعل ذهبت، وقلبت بحافرها، فوجدت قطعًا من السكر، ولفات من

الشرائط الملونة، وبعد هذا الحادث بثلاثة أيام، اختفت مولي .. بعد ثلاثة أسابيع من هروبها، علمت الحيوانات بوجودها في الجانب الآخر من بلدة ويلنجدون، فقد رآها الحمام خارج مبنى بلدية المدينة، وهي مسرجة إلى عربة حمراء صغيرة .. كان رجل سمين أحمر الوجه يشبه عمال البلدية يُطعمها السكر وهو يداعب أنفها، وكان يبدو عليها السعادة الغامرة، وكان عليها سرج أنيق، ويزينها شريط أرجواني كما قال الحمام، فلم يعد أحد بالمزرعة يتحدث بشيء عن مولي بعد ذلك الوقت.

كان الطقس قارس البرودة، وكان الجليد يغطي الأرض بشكل كبير، ولم يعد بالحقل أي عمل يؤدَّى؛ مما أدى إلى إتاحة الفرصة للحيوانات للالتقاء فيه .. اجتماعات مطولة بالحظيرة الكبيرة، وكانت الاجتماعات عن برامج الموسم المقبل، وكان من المُسلم به بين الحيوانات أن تُترك للخنازير سياسة إدارة المزرعة؛ لما يتمتعون به من ذكاء، فكانت تُطرح هذه السياسات للتصويت، وتقرر بأغلبية الآراء. كان هذا الأسلوب سينال قدرًا من النجاح لولا النزاع المستمر بين سنوبول ونابليون؛ فكل منهما يتربص بالآخر؛ فإذا اقترح أحدهما زراعة الشعير اعترض الآخر بتفضيل زراعة القرطم، وإذا قال أحدهما أن أرضًا معينة تصلح لزراعة الكرنب، اعترض الآخر بأنها تصلح للبطاطس.. فكان لكل منهما أتباع يُناصرونه بحماس عند التصويت،

ولكن كان لسنوبول الأغلبية عند التصويت؛ نظرًا لبراعته الجدلية في الإقناع، بالرغم من براعة نابليون في التخطيط، وحشد الأنصار، وكانت تدين له الأغنام بالزعامة؛ ولهذا فقد كان يحرضها دائمًا على مقاطعة سنوبول. كان سنوبول باحثًا مجتهدًا، ودرس بتمعن واستفاضة أعدادًا من المجلدات المتخصصة في أصول الزراعة والتربية الحيوانية، وكان لديه الكثير من المشروعات لتحسين الصرف، وإعادة التخزين، وتسميد الأرض، كما قام بوضع استراتيجية معقدة لتنفذها الحيوانات بقضاء حاجتها من الروث في أوقات وأماكن معينة بالحقل؛ توفيرًا للوقت والجهد في عمليات النقل، إلا أن نابليون اتهمه بالتعجيز، وإعاقة الحيوانات، وإضاعة الوقت، وحب الجدل.

وكانت مناقشة مشروع بناء طاحونة الهواء من أعنف الخلافات التي دارت بينهما؛ ففي المرعى الممتد أشار سنوبول إلى قطعة أرض معينة بالقرب من الربوة، بعد أن اختبر تربتها، وقال: إنها تُصلح لتشييد الطاحونة التي سنتمكن من خلالها من توليد الكهرباء؛ لإنارة وتدفئة الحظائر في الشتاء، كما يمكن استخدام تلك الكهرباء في تركيب منشار كهربي؛ لنشر الأخشاب، وكذلك مطحنة، وآلة لدرس الغلال وإدخال آلات حلب كهربائية.. وتلك الأمور لم تسمع عنها الحيوانات من قبل؛ فهي تعيش في مزرعة قديمة جدًّا، والآلات والأدوات فيها بدائية جدًّا. ولذلك فقد أصابتها الدهشة لسماع ما

قاله سنوبول عن تلك الآلات العجيبة التي ستقوم بالأعمال الشاقة بدلاً منهم، وتتفرغ هي للرعي، واستغلال أوقات الفراغ في الثقافة والتفكير.

انتهى سنوبول خلال أسابيع من تصميم الطاحونة، مستعينًا بثلاثة مراجع قديمة وجدها بالمزرعة، وهي "ألف شيء يمكنك القيام به من منزلك"، و"كل رجل يستطيع أن يبني نفسه"، و"علم الكهرباء للمبتدئين". وقد اتخذ سنوبول حجرة صغيرة كانت تستخدم كحضانة للبيض ذات أرضية خشبية مكتبًا له لتنفيذ تصميماته، فكان يخلو بين كتبه لساعات طويلة، وبين فتحة ظلفة إصبع من الطبشور، يخطط به على الأرض بانفعال شديد، وبمرور الأيام تحولت تلك الخطوط إلى رسوم ذات تروس وأعمدة تملأ نصف أرضية الحجرة.

كانت تحضر الحيوانات والطيور يوميًّا إلى المرسم، تُمعن في الرسم، وكان من منغصات حياتها أنها لا تستطيع قراءة رموزه، أما نابليون فقد أحجم عن الحضور، كما أعلن معارضته فكرة إقامة الطاحونة.. وذات يوم دخل حجرة الرسم، وتطلع للرسومات بتهكم، ودار حولها، ثم توقف في ركن الحجرة ناظرًا لها بطرف عينيه، ثم رفع إحدى رجليه، وبال عليها، ثم خرج في صمت تام.

انقسمت الحيوانات كعادتها في الخلاف ما بين مؤيد ومعارض، وخاصة حين أعرب سنوبول عن الصعوبات التي تواجه تنفيذ مشروعه، فكان على الحيوانات حمل الأحجار إلى الموقع، ثم بناؤه وفقًا للتصميم، كما تحتاج هذه الطاحونة إلى مراوح حتى تعمل، كما ينبغي إيجاد الأسلاك والمولد الكهربي.. ولم يذكر سنوبول كيفية الحصول على تلك الأدوات الكهربية، وقد وعد سنوبول بإنهاء الطاحونة في خلال عام واحد. أما نابليون فقد كان له رأي آخر، وهو توفير جهود الحيوانات للضرورات، وترك الكماليات؛ كاستغلال هذا الجهد في مضاعفة العمل؛ لزيادة إنتاج الحاصلات الغذائية، وقد أبدى تخوفه من إضاعة جهودهم في بناء الطاحونة، وقد يؤثر ذلك على الإنتاج الغذائي بالسلب؛ مما قد يُعرضهم للمجاعة، فانقسمت الحيوانات إلى فريقين، لكل منهم شعاره.. فالفريق الأول يؤيد مشروع سنوبول؛ لأنه سيُخفض أيام العمل إلى ثلاثة أيام فقط في الأسبوع، أما الفريق الثاني فقد رفع شعار نابليون في العمل على زيادة الإنتاج، وكان بنيامين الحمار على الحياد، وكان كل ذلك بالنسبة له مجرد مهاترات، فكان يشك في إمكانية تشييد الطاحونة، وما يتبعه من تقليل ساعات العمل، وكذلك إمكانية زيادة الإنتاج، وكان يقول: إن الحياة هي الحياة، بكل ما فيها من شقاء، سواء شيدت الطاحونة أو لا.

لم تمنعهم تلك المناقشات العنيفة حول الطاحونة من إدارة مناقشة أخرى حول ضرورة تحصين المزرعة؛ استعدادًا لهجوم آخر قد يقوم به الآدميون؛ لإعادة المزرعة لمستر جونز؛ للثأر من هزيمتهم في معركة "زريبة البقر"، وكانت تتوقع الحيوانات حدوث تلك الهجمات من البشر، خاصة بعد انتشار أخبار المعركة؛ مما بث روح المقاومة بين عامة حيوانات المملكة.

لقد نشب خلاف بين نابليون وسنوبول كالعادة.. فقد كان رأي نابليون جلب الأسلحة، وتدريب الحيوانات على كيفية استخدامها، وعلى الجانب الآخر، فقد رأى سنوبول ضرورة إرسال حملات دعائية من الحمام؛ لنشر مبادئ الثورة بين حيوانات المزارع الأخرى.. احتج نابليون وأصر على ضرورة التسليح؛ لأنه إذا ما عجزت الحيوانات عن الدفاع عن نفسها، فإن مصيرها المحتوم آت لا محالة. كانت تستمع الحيوانات للرأيين؛ ولكن لا تستطيع أن تقرر أيًّا منهما، فكانت تنتابها حالة من الانسجام مع من يتكلم حتى ينتهي من كلامه.

أخيرًا انتهى سنوبول من تصميم الطاحونة، واجتمعت الحيوانات صباح الأحد بمبنى الحظيرة؛ للتصويت على بدء العمل في الطاحونة.. كانت الأغنام تقاطع سنوبول من حين لآخر أثناء عرض أفكاره، ثم وقف نابليون معترضًا، موضحًا أن المشروع مجرد هُراء،

ونصح زملاءه بالتصويت ضد هذا المشروع، ثم جلس مرة أخرى بعد أن تحدث ثلاثين ثانية، غير مبالٍ بمدى تأثير ما قاله، وعندئذٍ قام سنوبول ليدافع عن فكرته.. قاطعته الأغنام مرة أخرى، فصرخ فيها طالبًا الصمت، وقد قدم عرضًا رائعًا وافيًا لما سوف تؤديه الطاحونة لرفع مستوى المعيشة، وتخفيف أعباء العمل في عبارات بسيطة، وأطلق العنان لخياله، يتأمل المستقبل الذي يحلم به بعد اكتمال بناء الطاحونة، وقد استطاع أسر قلوب وعقول الحيوانات حينما تكلم عن كيفية الاستعانة بالكهرباء في الدريس والطحين، وإنارة الحظائر، وتسخين وتبريد المياه.

وفي هذه اللحظة، وقف نابليون، ورمق سنوبول بنظرة مريبة، وأطلق نداءً مبحوحًا بنغمة لم تألفها الحيوانات من ذي قبل.. وفي الحال سمع الحضور أصوات نباح مخيفة، أعقبه دخول تسعة كلاب شرسة، في أعناقها أطواق مطعمة بالنحاس، متجهة إلى سنوبول، الذي فر هاربًا مذعورًا، وبقفزة واحدة سريعة أفلت من أسنانها، وفي لحظة هرب سنوبول ومن خلفه الكلاب.. تجمعت الحيوانات عند الباب في حالة من الذعر؛ لمراقبة ما يحدث، وكان سنوبول يعدو عبر المرعى، متجهًا إلى الطريق العام بأقصى سرعة ممكنة تعقبه الكلاب، وفجأة انزلقت رجله، فوقع، ونهض سريعًا، واستمر في العدو، وكاد

كلب منهم يطبق فكيه على ذيله، فضاعف من سرعته، ودلف عبر حفرة قريبة من سور المزرعة إلى الخارج، وكان هذا المشهد آخر عهد الحيوانات به.

عادت الحيوانات إلى أماكنها في حظيرة الاجتماعات في رعب وصمت تام، وبعد فترة وجيزة، عادت الكلاب مرة أخرى، ولم يخطر ببال الحيوانات من أين جاءت هذه الكلاب، ثم تذكروا الجراء التي ولدتها جيسي وبلوبل، والتي تم عزلها من قبل نابليون، وأخذ على عاتقه مسئولية تربيتها، وعلى الرغم من عدم بلوغ تلك الكلاب نموها الكامل، إلا أنها كانت في ضخامة ووحشية الذئاب.. اقتربت الكلاب من نابليون، تهز ذيلها، كما اعتادت أمهاتها أن تفعل في حضور مستر جونز.

اعتلى نابليون كومة القش التي اعتلاها ماجور من قبل، تتبعه الكلاب، وأعلن أنه منذ هذه اللحظة قد تم وقف اجتماعات يوم الأحد الصباحية؛ فمن وجهه نظره فهي مضيعة للوقت، وذكر أنه بخصوص المستقبل، فكل المشكلات المتعلقة بالعمل ستكون من اختصاص لجنة من الخنازير تحت رئاسته، ستدُرس هذه المشكلات في غرف مغلقة، ثم يتم تبليغها لكم فيما بعد. وأصبح النظام الجديد كالتالي: تجتمع الحيوانات صباح يوم الأحد لتحيي العلم، وتردد نشيد

"يا وحوش إنجلترا"، وتتلقى الأوامر والتعليمات الخاصة بخطة العمل الأسبوعية بلا مناقشات.

انتابت الحيوانات حالة من الرهبة والذهول بعد التخلص من سنوبول؛ مما أدى إلى استيائهم من تلك القرارات، وربما اعترض البعض عليها، ولكنهم لم يستطيعوا صياغة تلك الاعتراضات، حتى بوكسر أبدى اكتئابه وامتعاضه، فأرجع أذنيه للخلف، وهز رأسه يمينًا ويسارًا، وحاول جاهدًا أن يفصح عما يجول بخاطره، ولكنه لم يجد ما يقول، وعلى العكس، كانت بعض الخنازير أكثر إفصاحًا عن غضبها، وحينما صدر من أربعة منهم صيحات الاعتراض، وقفت على أرجلها الخلفية، وبمجرد البدء في عرض وجهه نظرهم، تحركت كلاب نابليون، وأصدرت زمجرة مريبة، فسكتت الخنازير فورًا، واستسلمت للصمت، وانطلقت الأغنام في ترديد شعارها: "ذوات الأربع أخيار، ذوو الرجلين أشرار" دون انقطاع، مما استحال معه أي محاولة للاحتجاج.

بعد انتهاء الاجتماع، توجه سكويلر إلى الحيوانات، شارحًا لهم ملابسات الوضع الجديد، وأنه على ثقة تامة بأنهم سيتفهمون مدى تضحية نابليون بقبول الأعباء الواقعة على عاتقه قائلًا: لا تصدقوا أن الزعامة سهلة أو هينة، أو أنها تبعث السعادة، فإن نابليون على إيمان

شديد بأن كل الحيوانات سواسية، ويتمنى أن يترك لهم حرية اتخاذ القرار، إلا أنه يخشى عليهم من عواقب اتخاذ قرارات خاطئة، فتساءل سكويلر قائلاً: كيف تكون الحال إذا اتبعتم سنوبول وأحلامه وضلالاته، وهو لا يزيد عن مجرد مجرم؟ فقاطعته إحدى الحيوانات بأنه أبلى بلاء حسنًا في معركة "زريبة البقر"، فرد عليها بأن الشجاعة وحدها لا تكفي؛ فإن الإخلاص والطاعة أكثر أهمية..

استطرد حديثه قائلاً: أما عن المعركة فسيأتي الوقت الذي تعرفون فيه أن خيالكم نسَج الكثير من المبالغات حول سنوبول.. إن النظام الحديدي هو سندنا؛ فأعداؤنا يتربصون بنا، وعند أول عثرة لنا سيقضون علينا، فهل تقبلون مستر جونز مرة أخرى؟

لقد أفحمتهم حجج سكويلر، ولابد من التضحية بندوات الأحد، إذا ما كان في الاجتماعات ما يهدد بعودة جونز أو عصابته.. وهنا قاطعه بوكسر قائلاً: إذا كان نابليون هو من بعثك بهذه الحجة، فلا شك في صدقه، ومنذ تلك اللحظة "سأعمل أكثر".

أقبل الربيع، وبدأت الحيوانات حرث الأرض، وكان المرسم الذي خصصه سنوبول لنفسه مغلقًا، وقد نسيت الحيوانات كل ما يتعلق بمشروع الطاحونة، بعد أن ظنت أن الرسوم قد مُحيت من الأرض.

وفي صباح يوم الأحد اجتمعت الحيوانات في الحظيرة كعادتها؛ لتتلقى الأوامر الأسبوعية، فكان برنامج هذا اليوم يبدأ برفع العلم، ثم المرور في طابور تنحني فيه الحيوانات أمام جمجمة ماجور العجوز، التي تم إخراجها من قبره، وثُبتت على قاعدة، ووضعت تحت العلم بجوار البندقية، ثم تدخل إلى الحظيرة الكبرى. ولم تعد تخلو الحيوانات ببعضها البعض في اجتماعات يتبادلون فيها الرأي، كما كان يحدث من ذي قبل، فكان نابليون يتصدر المجلس، وبجواره سكويلر ومينيمس، وهو خنزير ضخم، فكانت له موهبة ممتازة في تأليف الأغاني والأشعار، وتحيط بثلاثتهم الكلاب التسع على شكل نصف دائرة، في حين أن باقي الخنازير كانت تجلس خلفها، أما باقي الحيوانات فكانت تجلس في مواجهة نابليون، الذي يتلو عليها الأوامر الأسبوعية بأسلوب عسكري بحت؛ ومن ثم ينتهي الاجتماع بترديد نشيد "يا وحوش إنجلترا".

بعد ثلاثة أسابيع من طرد سنوبول، فوجئت الحيوانات في صباح يوم الأحد بقرار من نابليون بوجوب البدء في بناء الطاحونة! دون إبداء أسباب، محذرًا من ضخامة العمل المُقدمين عليه، ومن ثم وجوب التضحية في سبيله، بما في ذلك احتمال تخفيض وجباتها الغذائية، والجدير بالذكر أن لجنة خاصة من الخنازير قامت بإعداد

المشروع الجديد، وإدخال الكثير من التعديلات والتحسينات عليه؛ مما أدى إلى مد فترة التنفيذ إلى عامين.

جمع سكويلر الحيوانات مساء، خاطبًا فيهم أن نابليون لم يكن معارضًا للمشروع؛ بل على العكس، إن فكرة إنشاء الطاحونة كانت من وحي خيال نابليون، كما ادعى أن الرسوم الخاصة بها كانت قد سُرقت من بين أوراقه، وهنا قاطعته إحداها قائلة: إذا كان الأمر كذلك، فلم كان نابليون معارضًا؟ فرد سكويلر بخبث منقطع النظير: إنكم لا تعلمون مدى دهاء نابليون؛ لقد كان يختلق هذه المعارضة؛ ليتخلص من سنوبول، ومن تأثيره السلبي وأخلاقه الذميمة؛ فإن ما قام به نابليون ما هو إلا "تكتيك"، واستطرد حديثه قائلاً: والآن فقد حان وقت العمل دون إبطاء، وكان منفعلاً، يميل بجسمه من جانب لآخر، ويهز ذيله بعصبية، ويطلق ضحكات صاخبة! وعلى الرغم من عدم فهم الحيوانات لما يعنيه سكويلر من لفظة "تكتيك"، إلا أن أسلوبه في الإلقاء والإقناع، وما حوله من كلاب لم تدع أمامها سوى الاقتناع!

***

الفصل السادس

بذلت الحيوانات خلال العام الذي انقضى جهدًا عظيمًا وشاقًّا، واشتغلت كالعبيد؛ لكنها كانت سعيدة بعملها، فلم تأسف لعطاء أو تضحية.. كانت تعلم أن مردود عملها سيكون لها، وسيعود بالفائدة للأجيال القادمة من بعدها، وليس لإشباع رغبات إنسان كسول لا عمل له سوى قطف ثمار كدها!

ومع أن متوسط العمل الأسبوعي ارتفع إلى ستين ساعة أسبوعيًّا، إلا أن نابليون طلب من الحيوانات في شهر أغسطس، العمل بعد ظهر أيام الآحاد تطوعًا، وحذر من أنه سيصار إلى خفض حصة طعام من يعفي نفسه من ذلك العمل إلى النصف.. هذا الإجراء لم يحقق الغرض منه، ومع ذلك كان من الأهمية بمكان التوقف عن مواصلة بعض أعمال المزرعة، على الرغم من أن إنتاج حصاد الموسم كان دون مستوى غلة العام الماضي، وغدا من السهل تكهن الحيوانات كافة بحجم المتاعب التي ستواجهها خلال الشتاء القادم.

❋❋❋

بعد اتخاذ قرار بناء الطاحونة، واجهت الحيوانات مصاعب غير متوقعة، برغم وجود مقلع جديد للحجر الجيري في المزرعة، وتوفر الرمل والإسمنت في أحد المخازن الخارجية، إلا أن قطع الصخور إلى أحجام مناسبة للبناء شكلت -في البداية- صعوبة استعصت على الحل.

فجميع المعدات الموجودة هي للاستعمال الآدمي، واستخدام العتلة والمثقاب يستدعي وقوف من يستخدمهما على رجليه الخلفيتين. وبعد أسبوع من المحاولات، توصل أحدهم إلى فكرة مناسبة، تقوم على الاستفادة من قوة الجاذبية الأرضية؛ فجرى بناء محجر على سفح أحد التلال لتكسير الصخور.

تفاوت عمل الحيوانات كلٌّ حسب طاقته، ولكنها اشتركت جميعها في عملية سحب الصخور الكبيرة إلى أعلى التلة، وإسقاطها؛ ليرتطم بعضها ببعض، وتتكسر إلى قطع صغيرة، تستطيع الحيوانات حملها إلى موقع بناء الطاحونة.

في أواخر الصيف، تم تجميع ما يكفي لبناء الطاحونة من الأحجار، وقاموا بالبناء تحت إشراف الخنازير، ولم يكن من المستطاع إنجاز هذا العمل إلا بمساعدة بوكسر؛ لما عرف عنه من قوة تفوق قوة الحيوانات مجتمعة، فكان بوكسر يقوم برفع الكتل الضخمة، جارًّا

الحبال صاعدًا إلى أعلى، وتتلاحق أنفاسه بين إعجاب رفاقه، وكانت كلوفر تنصحه دائمًا بالحفاظ على صحته وعافيته، وألا يسرف في هذا العمل الشاق العنيف، ولكن بوكسر لا يبالي بما تقول، مرددًا شعارين: "سأعمل أكثر"، و"الحق دائمًا في جانب نابليون"، فكانت تلك الشعارات هي كل ما يملكه من إجابة. وقد اتفق كعادته مع ديك المزرعة لإيقاظه قبل ساعات العمل بساعة إلا ربع، كما كان يعمل في فترات الراحة القصيرة التي تتخلل ساعات العمل، ويجر الأحجار منفردًا، وينقلها إلى الطاحونة.

وعلى الرغم من هذا العمل الشاق، إلا أن حالهم أفضل من عهد جونز، وأيضًا وجباتهم -حتى بعد أن تم إنقاصها- لم تكن أقل من المقررات القديمة، وكانت سعيدة بعملها الذي سيعود عليها بالخير، وليس لإطعام الآدميين المتكبرين الكسالى، الذين لا يعملون.

كان إحساسهم بالكرامة يخفف عنهم الكثير من العناء، وما تواجهه من برودة الشتاء القارسة، كما أن إحساس التملك يمنعها من سرقة المحصول، وقد وفرت هذه السلوكيات الحميدة الوقت والجهد في بناء أسيجة حول الحقول لحمايتها، كما كانوا أكثر قدرة من البشر في تنقية الأرض من الحشائش الضارة.

في نهاية الصيف، اكتشفت الحيوانات الكثير من الصعاب، فبخلاف نقص المحصول والشتاء القارس، إلا أن المزرعة ينقصها الكثير من البذور والمخصبات الكيميائية اللازمة للزراعة، كما أن العمل بالمزرعة يحتاج للمسامير والبترول والحبال، وكذلك بسكويت للكلاب، والكثير والكثير من الأدوات، كذلك يحتاجون مولدًا كهربيًّا للطاحونة؛ لكنها لم تجد سبيلاً لتوفير كل هذه المتطلبات الضرورية.

اجتمعت الحيوانات صباح يوم الأحد بالحظيرة الكبرى كعادتها؛ لتتلقى الأوامر الأسبوعية، حينها أعلن نابليون عن سياسة جديدة لإقامة علاقة تبادلية بينهم وبين المزارع المجاورة، محاولة منه لتوفير ما تحتاجه المزرعة، كما أكد على أنها علاقة تبادلية لا أكثر، وبعيدة كل البعد -شكلاً وموضوعًا- عن التجارة، كما أكد أيضًا على أن ما تحتاجه الطاحونة هو من الأولويات، ويقوم على كل شيء، كما أعلن أنه في سبيل ذلك سيتم عقد صفقات بيع الدريس وجزء من محصول القمح، وإذا استدعى الأمر، فإنه قد يضطر لبيع كمية من البيض في سوق ويلنجدون.

كما أعلن نابليون أن الدجاج سيرحب بهذا القرار، وما فيه من تضحية؛ للإسهام في إكمال بناء الطاحونة، ومرة أخرى انتاب الحيوانات شعور بعدم الارتياح، ألم يتم الاتفاق على حظر التعامل مع

البشر، أو البيع والشراء بالنقود؟! ألم تقرر الحيوانات بالإجماع هذه الأسس بعد الانقلاب وطرد جونز؟! فهذه القرارات ما زالت عالقة بالذاكرة، وحينما وقفت الخنازير الأربعة على استحياء للاعتراض، فسرعان ما عادت لأماكنها بعد أن سمعت نباح الكلاب يهددها.

وبدأت الغنم في ترديد هتافها "ذوات الأربع أخيار، وذوو القدمين أشرار" بصوت مرتفع، وبذلك التصرف هدأت الجلسة، وخفت حدة التوتر التي اتسم بها الاجتماع، فرفع نابليون رجله الأمامية، طالبًا الالتزام بالسكون، وأعلن عن أنه اتخذ الترتيبات اللازمة لتنفيذ ما أعلنه من قرارات، وأنه سيتولى مهمة التواصل مع البشر؛ ولذلك لا داعي للتواصل بين الحيوانات وبين الآدميين، كما أعلن أيضًا أنه عقد اتفاقًا بينه وبين أحد وسطاء ويلنجدون، ويدعى مستر ويمبر، وأن هذا الشخص سيأتي إلى مزرعة الحيوان يوم الاثنين من كل أسبوع لتنفيذ التعليمات، وهنا أعلن نابليون إنهاء الاجتماع بهتافه: "فلتحيا مزرعة الحيوان"، وبعدها رددت الحيوانات نشيد "يا وحوش إنجلترا".

بعد ذلك الاجتماع، قام سكويلر بجولة بين الحيوانات في المزرعة؛ ليهدئ نفوسها، ويقنعهم بأن نابليون لم يتخذ من قبل أي قرار يقتضي عدم التعامل مع البشر، أو عدم التعامل النقدي، وكانت

هذه القرارات من محض خيال سنوبل؛ لترويج الإشاعات والافتراءات على نابليون. ثم وجه حديثه لمعترضين متسائلاً: هل تتذكرون شيئًا عن هذه القرارات، أم أنها مجرد أحلام؟ كما سألهم: هل لديهم محضر مكتوب مدون فيه هذه القرارات؟ ولأن الحيوانات لا يوجد لديها ما يثبت صحة هذه القرارات، فإن سكويلر صادق وحديثه لابد أن يكون صحيحًا.

كان مستر ويمبر يزور المزرعة صباح يوم الاثنين طبقًا للاتفاق.. كان قصير القامة ذو سوالف طويلة، يمثل السماسرة في شكلهم التقليدي، وكل ما فيهم من خبث وبُعد نظر، وبدهاء أدرك أن مزرعة الحيوان تحتاج بشدة لسمسار، وأن هذا العمل سيعود عليه بأرباح مجزية.

كانت الحيوانات تتجنبه وترقبه بخوف من بعيد عند ذهابه وإيابه، إلا أن عظمة نابليون وهو يلقي عليه أوامره، ويقف أمامه مستر ويمبر يستمع إليه باحترام، كان يخفف من شعورهم بالاستياء من التعامل مع البشر، كما كانت تشعر بالفخر بهذا المشهد.

لم تعد العلاقات متوترة بين البشر ومزرعة الحيوانات كسابق عهدها، وانتهت العداوة بينهم؛ لأن البشر أيقنوا أن المزرعة سينتهي بها الحال إلى الإفلاس بدون تدخلهم، وأن مشروع الطاحونة

سيفشل؛ إما بانهيارها، أو بالعجز عن إدارتها واستغلالها، وعلى الرغم من يقين البشر بفشل الحيوانات، إلا أنهم كانوا منبهرين من كيفية إدارة الحيوانات للمزرعة، وأصبحوا يطلقون عليها "مزرعة الحيوان"، بدلاً من اسمها القديم "مانور"؛ تقديرًا لهم. كما أنهم تراجعوا عن تأييدهم لجونز؛ مما جعله يُسلم، وييأس، وهاجر لمكان آخر. لم يكن للمزرعة أي تعامل أو اتصال بالبشر سوى مع مستر ويمبر وزياراته، إلا أنه كان هناك بعض من الإشاعات المروجة عن صفقات بين نابليون وأصحاب المزارع المجاورة: مستر بلكنجتون صاحب مزرعة فوكس وود، وفردريك صاحب مزرعة بنشفيلد.

وفجأة انتقلت الخنازير لتسكن منزل جونز، وحينها تذكرت الحيوانات قرارًا سابقًا يتنافى مع هذا القرار المفاجئ، وكالعادة قام سكويلر بدورة لإقناع الحيوانات بهذا القرار؛ مبررًا ذلك بأن الخنازير تمثل العقل المدبر، فلا بد لها من مقر هادئ للعمل، وكذلك فإن الزعيم "نابليون" يجب أن يسكن منزلاً يليق بزعامته، بدلاً من الزريبة. وعلى الرغم من أسلوبه المقنع ومبرراته القوية إلا أن الحيوانات كانت مستاءة من تناول الخنازير طعامهم في المطبخ، وجلوسهم في حجرة الاستقبال؛ بل الأفظع نومهم على الأسرة. فعلى الرغم من أن بوكسر قد قابل هذه التحريضات بشعاره المعتاد: "نابليون دائمًا على حق"،

إلا أن كلوفر كانت يهيأ لها أنها تتذكر أن الوصايا السبع تتضمن ما يتعارض مع نوم الخنازير على الأسرة؛ لذلك ذهبت إلى الفناء تحاول أن تقرأ ما دُون على حائط الحظيرة الكبرى من وصايا. وعندما عجزت عن القراءة استعانت بموريل لتقرأ لها الوصية الرابعة، التي تحذر النوم على الأسرة، وبصعوبة بالغة قرأت: غير مسموح للحيوانات النوم على الأسرة بالملايات!

اندهشت كلوفر؛ لأنها لم تتذكر أن الوصية كانت تحتوي على لفظة ملايات، ولكن طالما هذه الكلمة مدونة على الحائط، فالأكيد أنها صحيحة! وفي هذه اللحظة مر سكويلر يتبعه كلبان أو ثلاثة، وكعادته أراد أن يوضح الأمور قائلاً: بالتأكيد قد سمعتم عن نوم الخنازير على الأسرة في المنزل! فماذا يعيبهم في ذلك؟! ربما تتخيلون أن الوصايا السبع تحذر من نوم الخنازير على الأسرة، فتساءل عن معنى أسرة، واستكمل حديثه قائلاً بمنتهى السهولة: إنه مكان معد للنوم، وإن كومة القش التي تنامون عليها هي أيضًا مكان معد للنوم، لكن المنع جاء قبل استعمال الملاءات التي يغطى بها السرير، وهو إثم توصلت إليه العقلية الإنسانية الشريرة؛ ولذلك فقد قامت الخنازير بنزع الملاءات من الأسرة قبل النوم عليها، واستخدمت البطاطين فقط، وإحقاقًا للحق، فإن النوم على الأسرة مريح جدًّا، والخنازير

تحتاج لمثل هذه الراحة للتفكير، وتدبير أمور المزرعة، ثم تساءل: وما أظن أنكم ستبخلون علينا بهذه الراحة، فمن منكم يريد عودة مستر جونز؟! وبالتأكيد اقتنعت الحيوانات بوجهة نظر سكويلر، ولم تتحدث في أمر نوم الخنازير على الأسرة مرة أخرى، ثم أعلنت الخنازير أنها ستستيقظ بعد مواعيد العمل بساعة في الصباح، فلم يعترض أحد على ذلك القرار.

وبحلول الخريف كانت الحيوانات سعيدة، على الرغم من عناء العمل ونقص الغذاء، بعد أن تم بيع الدريس والقمح؛ مما يُنذر بشتاء قاس، ففي سبيل تشييد الطاحونة عليهم احتمال الصعاب، وكانت قد انتهت من بناء نصف الطاحونة، وكانت تنتهز فرصة اعتدال الطقس وجفاف الجو، وفراغها بعد انتهاء جمع المحصول، وتداوم العمل بها. وكان بوكسر ينتهز فرصة اكتمال القمر؛ ليتطوع بالعمل ساعة أو اثنتين في ضوئه.

ومع تقدم البناء كانت الحيوانات تطوف حوله أثناء فترة راحتها؛ إعجابًا بضخامته واستوائه، وكانت لا تصدق ما تراه أمام أعينها، وكان الوحيد الذي يشاركها الحماس والإعجاب هو بنيامين الحمار، وكان دائمًا ما يردد: "إن الحمير تعيش طويلاً".

أقبل نوفمبر برياحه الهوجاء وسقوط الأمطار، فاضطروا إلى إيقاف العمل بالطاحونة، وذات ليلة كانت العواصف شديدة، فهزت منزل المزرعة بقوة، وأسقطت من سقفه بعض قطع القرميد، واستيقظ الدجاج عند منتصف الليل على صوت فرقعة بعيدة، وعند اسيقاظ الحيوانات صباحًا اكتشفوا تحطم سارية العلم، وأن شجرة الدردار قد اقتُلعت من الأرض، وأثناء مشاهدة هذه المناظر سمعت صيحات تنطلق من بعض الحيوانات، بأن مبنى الطاحونة أصبح أنقاضًا.

هرعت الحيوانات إلى الطاحونة، يسبقهم نابليون، مسرعًا على غير عادته.. وقفت الحيوانات حزينة أمام جهدها الضائع، وآمالها التي تبددت كالحجارة المتناثرة أمامها، والتي تعبت في نقلها وبنائها أي تعب.

كان نابليون أمام الأطلال يغدو ويجيء، وهو خافض أنفه إلى الأرض، يشم ثم يشم باهتمام بالغ، وذيله يتحرك من جانب لآخر، وهو منتصب لأعلى، وكانت هذه الحركة لازمة له ومصاحبة له عند التفكير العميق، وفجأة توقف عن الحركة، وظهر عليه أنه اكتشف سرًّا عظيمًا، ثم تكلم بهدوء قائلاً: يا رفاق، هل تعلمون من وراء هذا الحادث؟ هل تعلمون من عدوكم الذي تسلل ليلاً ليهدم الطاحونة؟

ثم صرخ بصوت كالرعد: إن من قام بهذه الجريمة الشنعاء هو الخائن الأثيم؛ لينتقم لنفسه من المهانة عند طرده من المزرعة، ثم استكمل حديثه قائلاً: يا رفاق إنني في هذه الساعة أصدرت قرارًا بإعدام سنوبول، فمن يأتي به ميتًا يا أبطال فله "وسام البهائم" من الدرجة الثانية ونصف بوشل من القمح؛ بل وبوشل كامل لمن يأتي به حيًّا.

لقد صُدمت الحيوانات وتعجبت؛ كيف استطاع سنوبل أن يلوث يديه بمثل هذه الخيانة؟ وعلت منها صيحات الاستهجان، وتركت العنان لخيالها، ماذا ستفعل لو تمكنت من الإمساك به؟

وبعد بحث ليس بالكثير، تم العثور على آثار أقدام خنزير عند الربوة تتجه إلى سور المزرعة، ثم اختفت عند الفجوة التي سبق أن سقط فيها سنوبول يوم هروبه، وقد اشتم نابليون هذه الآثار؛ ليؤكد أنها لسنوبول، الذي تنبأ باختبائه بمزرعة فوكس وود، وأعلن نابليون ضرورة البدء في إعادة تشييد الطاحونة حالاً، وصاح فيهم قائلاً: يا رفاق، لا يوجد لدينا وقت لنضيعه؛ فالعمل ينتظرنا، سنعمل ونبني تحت كل الظروف والأوقات والأجواء، سنلقن عدونا درسًا، سواء سطعت الشمس أو أمطرت السماء، ثم ختم نداءه بهتاف: فلتحيا الطاحونة، ولتحيا مزرعة الحيوان.

الفصل السابع

كان الشتاء قارسًا وقاسيًا، وكان شديد الوطأة؛ فقد حملت العواصف معها بَرْدًا فصقيعًا، ثم ثلجًا، واستمر الطقس سيئًا حتى وقت متأخر من شهر فبراير. وعلى الرغم من ذلك، واصلت الحيوانات بناء الطاحونة، ولم تدخر جهدًا في سبيل إنجاز ما نوت عليه، وهي تعلم أنها أصبحت محط أنظار العالم الخارجي، وأن المزارعين الحاقدين سوف يرقصون فرحًا إنْ لم تُنجز الطاحونة في الوقت المحدد.

وقد شكك جيران المزرعة في صحة اتهام سنوبول بهدم الطاحونة، وقالوا: إنها تداعت بسبب ضعف جدرانها، وعلى الرغم من اقتناع الحيوانات بما تلقته عن مؤامرة سنوبول، إلا أنها قامت بتعريض سُمك المباني؛ حيث وصل إلى ثلاثة أقدام بدلًا من السمك القديم، وكان ١٨ بوصة، وهذا يعني المزيد من الأحجار والجهد.

في بعض الأحيان - وبسبب الثلج - كانت تضطر إلى إيقاف العمل؛ لأن الثلوج كانت تغطي أرض المحجر، وتستأنف العمل حين يتوقف سقوط الثلوج، ويصبح الجو جافًّا.

في ظل هذه الأجواء القاسية، وانخفاض الروح المعنوية، كان لبوكسر وكلوفر أثر كبير في رفع الروح المعنوية، فكان يُضرب بهم المثل في العمل والتضحية، كما كان لسكويلر دور كبير؛ فكان كعادته يلقي عليهم خطبه المحبوكة عن التضحية في سبيل الواجب، إلا أن هذه الخطب لم تؤثر فيهم، مثل أداء وتضحية بوكسر، وتفانيه في العمل، مرددًا شعاره المفضل: "سأعمل أكثر".

عانت المزرعة في يناير من نقص الغذاء؛ ولذلك فقد تم تخفيض المقررات الغذائية من الحنطة، واستبدالها بالبطاطس، إلى أن تم اكتشاف أن جزءًا كبيرًا من محصول البطاطس قد تلف؛ بسبب تركه في المخزن دون غطاء من القش في هذا الصقيع؛ مما أدى إلى تميعها، وفقدان لونها، وأصبحت غير صالحة للأكل؛ ولهذا لم يكن لدى الحيوانات الجائعة إلا التبن والبنجر، تتناوله لأيام طويلة، حتى أصبحت مهددة بمجاعة.

ولكي لا يشمت بها الأعداء، وينشروا عنها الإشاعات والأكاذيب بعد انهيار الطاحونة، تعمدت إخفاء حقيقة الأمر بشتى السبل. وفي ذلك الوقت، كان يتحدث الناس أن الحيوانات أشرفت على الموت جوعًا، وانتشرت الأمراض فيهم، وعادت لتوحشها القديم، وأكل بعضهم بعضًا، وقتل الصغار.. أدرك نابليون مدى خطورة تلك

الإشاعات، فقام بتسخير ويمبر لنشر إشاعات مضادة. وبعد أن كان اتصال الحيوانات بالبشر محدودًا، قام نابليون بوضع بعض الحيوانات ذات الصحة الجيدة - وأغلبها كان من الأغنام والخراف- في طريق ويمبر؛ ليخبروه عن مدى سعادتها، وما تحظى به من وجبات متكاملة ورعاية، وأمر بملء الصناديق الفارغة الموجودة في المخزن بالرمال، وتغطيتها بعد ذلك بما تبقى من الحبوب والدقيق، وقام بجولة في المزرعة، وزيارة للمخزن برفقة السيد "ويمبر"، وألقى نظرة على الصناديق، وتم خداع "ويمبر"، وعلى إثر ذلك قام بإشاعة الأخبار حول المزرعة، وأنها لا تعاني من مجاعة؛ بل لديها فائض.

في نهاية شهر يناير، أصبح من الضروري جلب الحبوب، فلبث نابليون في منزله تحت حراسة كلابه المتوحشة، وكان قليل الظهور، وإذا خرج يكون تحت حراسة مشددة، مكونة من ستة كلاب، تزمجر إذا حاول أحد الاقتراب منه، فكان لا يخرج حتى لحضور اجتماع يوم الأحد؛ لكنه كان يصدر أوامره من خلال أحد الخنازير، وغالبًا ما يكون "سكويلر".

في أحد اجتماعات الأحد، أعلن "سكويلر" أن نابليون أصدر أوامره للدجاج بتسليم كل ما وضعته مؤخرًا من بيض؛ لأنه اتفق مع "ويمبر" أن يوفر له أربعمائة بيضة كل أسبوع، مقابل توفير الدقيق والحبوب حتى فصل الصيف؛ لنحيا حياة أقل شقاء.

وقع هذا القرار على أسماع الدجاج كالصاعقة، فأطلقت صيحات غاضبة، فلم تكن تعلم أن التضحية ستصل إلى هذا الحد؛ فهي تحتضن البيض كي يفقس في الربيع، وأخذه منها يعد من الجرائم، فلأول مرة منذ الانقلاب على جونز يحدث نوع من التمرد، وأعلنوا العصيان تحت قيادة ثلاث دجاجات سوداء، وقرروا إفشال مخطط نابليون، فقاموا بالطيران على عوارض خشبية مرتفعة؛ لكي تبيض فيسقط البيض على الأرض مهشمًا.

كان رد فعل نابليون سريعًا وقاسيًا؛ حيث أمر بإلغاء حصص طعام الدجاج، وأعلن أنه لو تم ضبط أي حيوان يقدم لهم الطعام، أو أي مساعدة من أي نوع، فسيكون عقابه شديدًا، قد يصل إلى الإعدام، وكان هذا القرار تحت مراقبة الكلاب.

عادت الدجاجات إلى أعشاشها بعد استسلامها، فلم تتحمل، ولم يستمر صمودها سوى خمسة أيام، وأعلنت استسلامها، بعد أن مات تسع منها تحت أشحار التفاح، وأشيع أن سبب الوفاة راجع إلى مرض يصيب الدواجن يسمى " كوكوديوس".

لم يعلم "ويمبر" شيئًا عن أمر هذا العصيان؛ فقد وصله البيض في الموعد المحدد أسبوعيًّا.

انقطعت أخبار سنوبول تمامًا، بعد أن تردد أنه مختبئ في إحدى المزارع المجاورة.. كان نابليون على علاقة جيدة بجيرانه، وكان لديه الكثير من خشب الزان، يتنافس على شرائه كل من "بلكنجتون" و"فردريك"، وشجعه "ويمبر" على البيع. وعندما يتخذ القرار ببيعه لأحد منهم، تذاع الأقاويل أن سنوبول مختبئ عنده، فيتوقف البيع.

مع قدوم الربيع، انتشرت الأقاويل والإشاعات بأن سنوبول يأتي إلى المزرعة ليلاً.. أصيبت الحيوانات بالذعر لسماعهم ذلك، لدرجة أنها كانت لا تستطيع النوم ليلاً. وزادت الإشاعات بأنه يأتي ليلاً ليسرق الحبوب، ويقوم بسكب الحليب، وكسر البيض، وإلقاء التقاوي الزراعية، وتقشير لحاء أشجار الفاكهة، فكل ضرر يحل بالمزرعة كان يُنسب إلى سنوبول، فإذا كُسرت نافذة أو سُدت مواسير الصرف، فتوجه التهمة إلى سنوبول، وعندما ضاع مفتاح المخزن، تردد أن سنوبول قد ألقاه في البئر، والأكثر غرابة أن الحيوانات ما زالت مقتنعة بذلك، حتى بعد أن وجدت المفتاح تحت كيس الحبوب.

أما الأبقار فقد أعلنت أن سنوبول يتسلل إليها ليلاً، ويحلبها وهي نائمة، كما أنهم اتهموا الفئران بأنها تتآمر مع سنوبول.

صرح نابليون بأن تحركات سنوبول يجب أن يتم التحقيق فيها، فخرج في جولة وحوله كلابه، ومن خلفهم باقي الحيوانات؛ لتفقد

منشآت المزرعة.. كان يتوقف ليشم الأرض، زاعمًا أنه يتعرف إلى بصمات سنوبول، ولم يترك مكانًا إلا وقام بشمه؛ ليقنع الحيوانات بأنه يتتبع بصمات سنوبول، وفجأة -وبصوت مخيف- صرخ سنوبول أنه هو.. كلما نطق اسم سنوبول تزمجر كلابه، وتُكشر عن أنيابها، وكل هذا كان كافيًا لإدخال الرعب لقلوب الحيوانات، وإقناعهم بأنهم معرضون للخطر من قبل سنوبول.

استدعو سكويلر الحيوانات ليلاً، وكان يبدو عليه القلق والتوتر، وأعلن وهو يرتعش أن لديه أخبارًا خطيرة للغاية.. صرخ بعصبية وبصوت مرتعش أن سنوبول قد باع نفسه للسيد "فردريك" صاحب مزرعة "بينشفيلد"، وتآمروا علينا، ويعدون العُدة للهجوم على مزرعتنا، والاستيلاء عليها. وسنوبول هو القائد لهذه المعركة. والأخطر من ذلك أننا توهمنا أن خيانته بسبب الحقد أو الطموح؛ بل في حقيقة الأمر أنه كان جاسوسًا ومتآمرًا علينا من قِبل "جونز".

ثم استكمل حديثه قائلاً: إن ما يؤكد ما أقول أننا وجدنا مؤخرًا وثائق خاصة به، تكشف عمله السري مع جونز، ألم تتذكروا أنه حاول أن يوقعنا في الهزيمة؛ بل إبادتنا في معركة "زريبة البقر"؟!

أصاب الحيوانات ذعر شديد من هول ما سمعت، فما كشفه لهم سكويلر عن خيانة سنوبول يفوق جريمة هدم الطاحونة.. ظلت

الحيوانات في حالة من الذهول وهي لا تستوعب ما قيل، ولا تستطيع تصديقه؛ فهي تتذكر جيدًا دور سنوبول القيادي في المعركة، وكيف كان يحار الأعداء حتى بعد إصابته برصاص جونز، فلم يتوقف، فكيف تصدق ما قيل عن خيانته؟!، وأيضا بوكسر الذي كان يصدق كل ما يُشاع، أصيب بالحيرة، وبعد فترة من التفكير وربط الأحداث رد قائلاً: إنني لا أصدق كل هذا، فقد كان لسنوبول دور بطولي في المعركة، حتى أنه بعد المعركة حصل على وسام "بطل البهائم" من الدرجة الأولى! فكيف له أن يكون خائنًا؟!

أجابه سكويلر موضحًا بأن ما فعله سنوبول في المعركة وإصابته كان جزءًا من المؤامرة؛ لكي يتم خداعنا، وهذا ما تم اكتشافه من خلال الوثائق التي وجدناها، ومن الممكن أن يطلع بوكسر عليها إذا كان يستطيع القراءة، فمن خطوات المؤامرة أن يعطي سنوبول إشارة الفرار في الوقت المناسب، وترك ميدان المعركة للأعداء، وكادت تنجح مؤامرته لولا نابليون؛ ففي نفس اللحظة دخل جونز فناء المزرعة، وكاد يعلن انتصاره، وحينها قفز نابليون صارخًا: "الموت للآدميين"، وقام بِعَضِّ جونز في ساقه.

ظل سكويلر يخطب فيهم، ويحاول إقناعهم بترتيب الأحداث الجديد، حتى ظنت أنها تتذكر ما حدث، وبدأت تجسده في خيالها

كما وصفه سكويلر، لكن بوكسر ظل متحيرًا وقال: "لا أعتقد أن سنوبول كان خائنًا منذ البداية؛ بل إنه كان رفيقًا وافيًا في المعركة، أما بعدها فإن خيانته باتت واضحة.

رد عليه سكويلر بنبرة ثقة قائلًا: لقد أعلن زعيمنا نابليون، بأن سنوبول خائن وعميل منذ البداية، ومن قبل انقلابنا على جونز. فرد بوكسر قائلًا: إذا قرر الزعيم ذلك فهو صادق، وردد شعاره: "نابليون دائمًا على حق".

صاح سكويلر قائلًا: "هذه هي روح الثورة"، ونظر إلى بوكسر شزرًا بعينيه الصغيرتين، وبنبرة تحذيرية قال: "أحذركم جميعًا من جواسيس سنوبول المزروعين بيننا، ويجب عليكم أخذ الحيطة والحذر".

بعد مرور أربعة أيام، أمر نابليون بجمع الحيوانات في فناء المزرعة؛ لعقد اجتماع، ثم خرج من منزله مزين الصدر بوسامين، فقد منح نفسه وسامي "الحيوان البطل" من الدرجة الأولى والثانية، وكان في حراسة كلابه التسعة، حتى أصيبت قلوب الحيوانات بالقشعريرة والرهبة من صوت زمجرتها.. وساد صمت الحيوانات متيقنين بأن أمرًا خطيرًا على وشك الحدوث.

وقف نابليون وقفة مهيبة، وقد ألقى على الحيوانات نظرات قاسية، ثم أطلق صرخة عالية، قفزت الكلاب على إثرها مسرعة،

فأمسكت بأربعة من الخنازير وجرتها من آذانها، فكانت تصرخ ألمًا ورعبًا، وألقت بهم تحت أرجل نابليون، فكانت تنزف وأنياب الكلاب مليئة بالدماء؛ مما أصابها بهياج شديد، وأمام ذهول الحيوانات هجمت ثلاثة منهم على بوكسر، فضرب بوكسر واحدًا منهم بحافره ضربة قوية أسقطته أرضًا، بينما فر الكلبان الآخران، فصرخ الكلب طالبًا الرحمة.. ظل بوكسر ضاغطًا على الكلب بقدميه، ونظر إلى نابليون نظرة تساؤل: أأسحقه تحت أرجلي؟!.. اغتاظ نابليون وأمره بأن يتركه في الحال، فهرب الكلب صارخًا من الألم.

وبهذا المشهد قل الصخب، وبقيت الخنازير الأربعة مرتعدة، ترتسم على وجوهها مظاهر الإثم والندم، فأمرهم نابليون بالاعتراف بجريمتهم، فكانت هي الخنازير التي احتجت على قرار نابليون في اجتماعات يوم الأحد، فاعترفت في الحال أنها كانت على اتصال مباشر بسنوبول منذ طرده من المزرعة، وأنها تواطأت معه لتحطيم الطاحونة، وأنها أبرمت معه اتفاقًا على تسليم "مزرعة الحيوان" للسيد "فردريك". كما اعترفت أيضًا بأن سنوبول كان جاسوسًا لصالح السيد "جونز" من قبل الانقلاب عليه.

وعند انتهائها من اعترافاتها هجمت عليها الكلاب ومزقتها. وبصوت مرعب، صاح نابليون: هل منكم من يريد الاعتراف؟ فتقدمت الثلاث دجاجات السوداء التي سبق لها العصيان عن تسليم

البيض، واعترفن بأن سنوبول جاءها في الحلم، وحرضها على عصيان أوامر نابليون، فكان مصيرها الذبح هي الأخرى. وبعد ذلك، تقدمت إوزة، واعترفت بأنها أخفت ست سنابل قمح من محصول العام الماضي، وأكلتها ليلاً، ومن بعدها اعترفت النعجة أن سنوبول حرضها على التبول في مياه البركة، وكذلك اعترفت نعجتان بأنهما قتلا كبشًا عجوزًا كان شديد الولاء لنابليون، فكان مريضًا بالسعال، فتعقبوه حتى وصل إلى موقد النار، وتحاوروا معه عنده، فاشتد عليه المرض ومات. فتم تنفيذ أحكام الإعدام على الخونة جميعًا. وهكذا توالت الاعترافات، فتوالت أحكام الإعدام، وتكدست جثث الضحايا، وفاحت رائحة الدم التي نستها الحيوانات منذ عهد جونز.

بعد انتهاء المحاكمات تسللت الحيوانات مرتعدة يائسة، ولم تستطع التعبير عما أصابها من اضطراب، فما هو أشد رعبًا؟ خيانة من تواطئوا مع سنوبول أم وحشية العقاب؟

كانت تحدث مثل هذه المجازر في عهد جونز البائد؛ ولكن هذه المجزرة أكثر بشاعة؛ لأنها تحدث بين الحيوانات، فمنذ أن رحل جونز لم يحدث بأن قتل حيوان حيوانًا آخر، ولا حتى فأرًا. فما أن وصلت الحيوانات إلى التلة -حيث تقام الطاحونة- حتى نامت جنبًا إلى جنب، باحثة عن الدفء.

تجمعت الحيوانات على الربوة.. كلوفر وبنيامين والبقر والغنم وسرب من الإوز والدجاج، ما عدا القط الذي اختفى منذ أن دعاه نابليون إلى الاجتماع.. ظلت الحيوانات واجمة لفترة من الوقت، وكان بوكسر في حالة من الاكتئاب يهز ذيله يمينًا ويسارًا، يصدر صهيلاً من حين لآخر، وفي النهاية تحدث قائلاً: "لم أتخيل أبدًا أن تحدث في مزرعتنا هذه الأمور، ولا شك أننا قد ارتكبنا خطأ ما، ولذلك لابد لنا ألا نلوم إلا أنفسنا، وعلينا أداء المزيد من العمل، سأستيقظ باكرًا قبل ساعة من مواعيد العمل المقررة.

هبط بوكسر إلى المحجر؛ ليجمع الأحجار، وينقلها لأعلى؛ حيث موقع الطاحونة.. ظل يعمل حتى الليل.. تجمعت الحيوانات فوق الربوة؛ تنظر إلى المراعي الخضراء الواسعة من تحتها، ومنظر كومات الدريس والشجيرات والبركة وحقول القمح الخضراء، ومنزل المزرعة الأحمر والدخان متصاعد من مدخنته.. كانت ليلة من ليالي الربيع الصافية، وكانت أشعة الشمس الذهبية عند الغروب تلقي أشعتها على الحشائش وأسوار المزرعة، فكانت هذه المرة الأولى التي تستشعر فيها الحيوانات جمال وسحر المزرعة، التي طالما حلمت أن تمتلكها.. كانت كلوفر تنظر من اعلي الربوة بعينين دامعتين، لا تتكلم وان استطاعت الإفصاح عما يجول بداخلها لقالت: أن ما وصلنا له من مجازر لم يكن الهدف من الثورة والانقلاب على الجنس البشري،

ولم تكن تتخيل أن تصل الأمور لهذه الدرجة من البشاعة فقد رسم ما جور العجوز للحيوانات صورة مستقبل مشرق ومجتمع من الحيوانات السعيدة بتحررها من الخوف والجوع والاستعباد، كلهم سواسيه، لا تُكلف بما لا تتحمل من عمل يحمي القوي الضعيف، كما كانت تفعل وتحنوا على البط اليتيم الباحث عن الدفء بين ارجلها عندما كانت ما جور يلقي خطابه. ومرت الأيام وهاي الثورة لا تجني ثمارها فالحيوانات لا تجرؤ على التعبير أو الإفصاح عما يدور بداخلها خوفا من كلاب نابليون المتوحشة المنتشرة بينهم، ومشاهد المجازر وأحكام الإعدام التي تمت أمام اعجنهم بناءًا على اعترافات واهيه. دار شريط الذكريات في راس كلوفر، فلم تكن أبدًا في التمرد أو العصيان فكانت دائما تري أنها افضل حالاً. مما كانت عليه في عهد جونز، وعليها أن تعمل وتتفاني في عملها حتى لا تعود لاستعباد الإنسان مرة أخري، فينبغي عليها تنفيذ أوامر نابليون، والإخلاص في العمل. فقد تحطمت أحلامها السعيدة التي لطالما ضحت من أجلها وتفانت في بناء الطاحونة وتصدت لرصاص جونز من أجلها.

ظلت كلوفر صامتة، بالرغم من كل هذه الخواطر التي تجول في ذهنها، فهربت من واقعها المرير وما تعانيه من أسى بالغناء لتبدد الصمت، فتبعتها الحيوانات بتردد النشيد بلحن حزين، وكأنها تنعي أيامها الهنيئة، فكانت تردده بإتقان لم تعهده من قبل، فإذا انتهت

منه أعادته مرة أخرى، وفي المرة الثالثة، اقتحم سكويلر خلوتها ومعه كلبان، وألقى عليهم قرارات نابليون، وأعلن بأن نابليون أصدر قرارًا يحذر من التغني بنشيد "يا وحوش إنجلترا"، وأن هذا النشيد أصبح محظور التغني به.

اندهشت الحيوانات لهذا القرار، وتساءلت موريل: لماذا المنع؟ فأجابها سكويلر بلهجة حاسمة: قد كان نشيد "يا وحوش إنجلترا" نشيد الثورة، وها هي الثورة قد نجحت وحققت أهدافها، فلم يعد النشيد مناسبًا لها، فبإعدام الخونة ظُهر اليوم، تكون الثورة حققت النصر على أعدائها في الداخل والخارج، كما أن النشيد كان يدعو إلى مستقبل مزدهر سعيد، وهذا المستقبل المزدهر قد وصلنا إليه بالفعل، فأصبح النشيد لا جدوى منه. وعلى الرغم من ذهول ورعب الحيوانات، كان من المفترض أن يعترض بعضها، لولا قيام الغنم بترديد شعارها:

"ذوات الأربع أخيار، ذوو الرجلين أشرار"، حتى انسحب سكويلر، ولم يسمع النشيد بعد هذا اليوم، وقام مينيمس بتأليف نشيد آخر ألا وهو:

مزرعة الحيوان الكبرى.. مزرعة الحيوان الكبرى..

دمت لنا دهرًا دهرًا.. وبقيت لنا ذخرًا ذخرًا..

كان يردد هذا النشيد صباح يوم الأحد بعد رفع العلم، ولكن هذا النشيد بالنسبة للحيوانات لا يرقى بكلماته، ولا ألحانه إلى كلمات وألحان نشيد "يا وحوش إنجلترا".

***

الفصل الثامن

بعد أيام قلائل من المذبحة، كانت قد خفت حدة الرعب في قلوب الحيوانات، فتذكرت أو هُيئ لها أنها تتذكر نص الوصية السادسة: "على الحيوان ألا يقتل حيوانًا آخر"، ومع ذلك لم يتجرأ أحد على ذكر هذا للخنازير والكلاب، رغم اعتقادها من أن ما حدث بالمذبحة يخالف ما نصت عليه الوصية السادسة من الوصايا السبع، التي طالما تعاهدوا على تطبيق نصوصها.

طلبت كلوفر من بنيامين أن يقرأ لها نص الوصية السادسة، فرفض كعادته؛ مبررًا ذلك بأنه لا يحب التدخل فيما لا يعنيه، فطلبت من موريل أن تقرأ لها، فاستجابت لها، وبصعوبة قرأت عليها نص الوصية السادسة: "على الحيوان ألا يقتل حيوانًا آخر.. دون سبب".. ولسبب أو لآخر لم تتذكر الحيوانات الكلمتين الأخيرتين، ولكنها أدركت أن الوصية السادسة لم تُخرق، وأن أحكام الإعدام كان لها ما يبررها، وهي تواطؤ الحيوانات مع سنوبول.

كانت الحيوانات تعمل بجد خلال هذا العام، وتبذل قصارى جهدها لتنتهي من إقامة الطاحونة، التي تضاعف سمك حوائطها في

الموعد المحدد، وألا يؤثر العمل بالطاحونة على أعمال المزرعة؛ مما يتطلب منهم جهدًا وعناء بالغين.. أحيانًا ما كانت تشعر الحيوانات بأنها تعمل وقتًا أطول مما كانت عليه في عهد جونز، وأن وجباتها الغذائية لم تتحسن عما كانت تتناوله سابقًا.

في صباح يوم الأحد، اجتمع بهم سكويلر وقد أمسك بين أظلافه أشرطة ورقية مدون عليها بيانات إحصائية، تشير إلى أن الإنتاج قد زاد بنسبة ٢٠٠% أو ٣٠٠% أو ٥٠٠% حسب القطاع، وحسب الأحوال، ولم تتشكك الحيوانات فيما يلقيه عليها من بيانات وإحصائيات، بعد أن طال بها المطال في ظل الثورة، فلم تعد تتذكر شيئًا قبلها، فأحيانًا كان يُخيل لها أنه كان يُقدم لها طعامًا أفضل، لولا هذه الإحصائيات.

كانت الحيوانات تتلقى الأوامر من خلال سكويلر أو خنزير آخر، أما نابليون فكان يمكث في منزله، ولا يظهر إلا كل أسبوعين مع حراسة مشددة من الكلاب، وزاد عليهم ديك أسود متكبر، يكون دائمًا في مقدمتهم، يؤذن كالبوق، فكان يؤذن بهذا الصوت إشارة منه أن نابليون سيبدأ حديثه.

انتشرت الإشاعات حول نابليون، وقيل إنه أصبح له وضع خاص، وأصبح له جناح خاص داخل منزل المزرعة، ويتناول غداءه

منفردًا، ويخدمه كلبان.. كما أنه يتناول طعامه في أواني خزفية فخمة، كان يستخدمها جونز في المناسبات، وكان يحتفظ بها في خزانة بحجرة الجلوس، كما أنه أعلن أنه سيطلق الرصاص في عيد ميلاده؛ للاحتفال به مع اليومين السنويين الآخريين؛ ذكرى الثورة وذكرى معركة "زريبة البقر".

أصبح نابليون يلقب بعدة ألقاب؛ كالزعيم والرفيق، وعلى الحيوانات ألا توجه إليه حديثًا إلا بعد ذكر هذه الألقاب كاملة، وكانت الخنازير تضيف إلى هذه الألقاب لقب "أبي الحيوانات - هازم الإنسانية - حامي الغنم - صديق البط"، وغيرها من الألقاب. كان سكويلر دائمًا ما يمجد نابليون، ويمدح فيه، وينخرط في البكاء عند ذكر نابليون وقلبه الطيب ورحابة صدره لجميع الحيوانات، وخاصة الحيوانات التعسة في المزارع الأخرى التي لازالت تعيش في ظل الجهل والعبودية.

كما اعتادت الحيوانات، وأصبح مألوفًا لديها نسبة أي عمل ناجح لنابليون، وأن أسباب نجاح أي عمل ترجع إلى توجيهات نابليون، فكانت الدجاجات تحدث بعضها البعض هكذا: "تحت قيادة الزعيم والرفيق نابليون، وفي ظل إرشاداته فقد وضعت خمس بيضات في ستة أيام".

أما حديث البقر عند بركة الماء فكان هكذا: "بفضل رفيقنا ونبراسنا نابليون، ما أعذب هذا الماء!!".. أما الشاعر مينيموس فقد عبر عن هذه المشاعر في قصيدة عنوانها: "الرفيق نابليون"، وهذا نصها:

يا أبا الأيتام.. يا نبع السرور..

مُطعم الجوعان أقداح الشعير..

هادئ كالصخر.. عاتٍ كالسعير..

إيه نابليون يا بدر البدور..

***

يا ملاذ الوحوش من ظلم الزمن..

تهب القش طريًّا للوسن..

كل خنزير لديك مطمئن..

عِشت نابليون ذخرًا للوطن..

***

كلما طار فراش.. كلما غنت طيور..

عندما يولد عند الفجر خنزير غرير..

صيحة المولود كانت.. وهو في المهد صغير.

أنت نابليون مجد.. وذكاء وحبور .

***

أبدى نابليون استحسانه لهذه القصيدة، وأمر بكتابتها على الجدار المقابل للوصايا السبع، وقام سنوبول برسم صورة كبيرة لنابيلون بالطلاء الأبيض.

في تلك الأثناء، كان نابليون منشغلاً بإبرام معاهدات واتفاقات مع ويمبر، بخصوص صفقة الأخشاب التي لم يتم بيعها، وكان الجاران فردريك وبلكنجتون يتنافسان على شرائها، وكانت الأقاويل تحاط بفردريك ورجاله بأنهم يتآمرون على مهاجمة المزرعة، وهدم الطاحونة التي أثارت غيرتهم، كما كان يقال أيضا أن سنوبول يمكث في مزرعة فردريك "بنشفيلد".

في منتصف الصيف، تلقت الحيوانات خبر إعدام ثلاث دجاجات؛ لاعترافهم بتورطهم مع سنوبول في مؤامرة لاغتيال نابليون، فقاموا بإجراءات أمن مشددة لحماية نابليون، فتقوم أربعة كلاب بحراسة سريره ليلاً بواقع كلب في كل زاوية، كما تم تكليف خنزير صغير يُدعى "بنكاري" بتذوق وجبات نابليون قبل تقديمها له؛ لحمايته من التسمم.

في الوقت نفسه أعلن نابليون بأنه سيبيع صفقة الأخشاب للسيد "بلكنجتون"، وتم التعاقد على تبادل السلع بين المزرعتين، وسيتم هذا بمساعدة السيد "ويمبر"، كما تطورت العلاقة بين نابليون وبلكنجتون، وأصبحت علاقة ود ومجاملة، وعلى الرغم من تخوف الحيوانات من التعامل مع البشر، إلا أنها كانت تفضل التعامل مع بلكنجتون على فردريك، التي كانت تخافه وتكرهه في نفس الوقت.

مع نهاية الصيف شرفت الطاحونة على الانتهاء، فزادت الإشاعات بأن فردريك سيشن هجومًا على المزرعة، وسيتم الهجوم بمعاونة عشرين رجلاً مدربين ومسلحين بالبنادق، كما أنه قام بإرشاء رجال الشرطة، حتى إذا تمكن من المزرعة وسقطت في يده لا يتحركون ولا يسألونه عن عقود ملكيتها، وانتشرت حكايات مرعبة عن قسوته مع حيوانات مزرعته، فقد قام بجلد حصان عجوز حتى الموت، وترك بقرة تموت جوعًا، كما قام بحرق كلب في الفرن، كما كان يتسلى ليلاً بعراك الديوك المدبر بعد أن وضع في مخالبها شفرات الحلاقة.

بعد سماع الحيوانات لهذه القصص المريبة، كانت تغلي الدماء في عروقها، فكانت تصرخ معبرة عن رغبتها في الهجوم على مزرعة بنشفيلد؛ لتخليص الحيوانات من قسوة فردريك، ولكن دائمًا ما كان

ينصحها سكويلر بعدم التهور، وترك مثل هذه الأمور لدهاء وحكمة الزعيم نابليون.

ازداد كره الحيوانات لفردريك، وفي صباح يوم الأحد أمر نابليون بجمع الحيوانات في حظيرة الاجتماعات، وأعلن أنه لم يفكر يومًا لبيع صفقة الخشب لفردريك، وأنه يرى أن التعامل مع أمثال فردريك يتنافى مع مبادئه، كما أصدر أوامره للحمام بعدم التحليق على مزرعة فوكس وود، وتكثيف التحليق على مزرعة فردريك بنشفيلد، والدعوة إلى الثورة، كما أمر بتعديل الشعار القديم من: "الموت للإنسانية"، إلى "الموت لفردريك".

وفي نهاية الصيف، تم اكتشاف مكيدة من مكائد سنوبول، وهي قيامه بخلط تقاوي القمح ببذور الحشيش، وقد ساعده في ذلك ذكر من الإوز الذي انتحر ببلع حبات من نبات سام بعد اعترافه بمؤامرته مع سنوبول، كما علمت الحيوانات أن سنوبزل لم يحصل على وسام "بطل البهائم" في معركة "زريبة البقر"؛ إنما سنوبول هو من أشاع هذا على نفسه بعد عزله؛ لجبنه في المعركة، فاندهشت الحيوانات لما سمعته، ولكن سكويلر استطاع إقناعها، معتمدًا على قصر ذاكرتها.

وبحلول فصل الخريف، كانت الحيوانات قد انتهت من حصاد المحصول، كما انتهت من بناء الطاحونة في موعدها المحدد، ولم

يكن هذا الإنجاز ليتم إلا ببذل مجهود ضخم، فعلى الرغم من عدم خبرتها بالبناء، والمصاعب التي واجهتها، ونقص المعدات، وخيانة سنوبول ومؤامراته لهدم الطاحونة، إلا أنها أتمت بناءها بحوائط أكثر سمكًا من الطاحونة السابقة، حيث لا يمكن هدمها إلا بالمفرقعات، فكانت فخورة بهذه التحفة المعمارية التي أصبحت أجمل وأقوى من المرة الأولى. وعندما بدأت تعيد التفكير في الجهد الذي بذلته، والمصاعب التي واجهتها واستطاعت التغلب عليها في سبيل إتمام البناء، وفي سبيل التنعم بمستقبل مزدهر، وتخيل بعد أن يتم تركيب المراوح لتشغيل المولد الكهربي، فتلك الأماني كانت تهون عليها ما مرت به من تعب وأسى، وتدور حول الطاحونة تردد عبارات النصر.

أقبل نابليون بموكبه من الكلاب وديكه الأسود؛ ليفتتح الطاحونة، وقام بتهنئة الحيوانات على هذا الإنجاز منقطع النظير، وأعلن أن الطاحونة سيطلق عليها (طاحونة نابليون).

بعد الانتهاء من بناء الطاحونة بيومين، تم استدعاء الحيوانات لحظيرة الاجتماعات، وبين ذهول الحيوانات أعلن نابليون أنه قد تم بيع صفقة الخشب إلى السيد فردريك، وأن سياراته ستأتي في الصباح لنقل الخشب، وأنه كان على اتصال سري بفردريك خلال فترة تظاهره بصداقة بلكنجتون، ومنذ هذه اللحظة قد تم قطع

العلاقات بين مزرعة الحيوان ومزرعة فوكس وود، ومن الآن سيتم توجيه الحملات الإعلامية ضد بلكنجتون، وسيتم تعديل شعار الحمام إلى "الموت لبلكنجتون" بدلاً من "الموت لفردريك"، كما أعلن تحذيره من الإساءة لمزرعة بنشفيلد، كما أعلن أن كل ما أشيع عن فردريك لا أساس له من الصحة، وأن ما أذيع عن قسوته مع حيواناته ما هي شائعات أطلقها سنوبول، واتضح مؤخرًا أن سنوبول لم يختبئ في مزرعة بنشفيلد، أو حتى قام بزيارتها؛ ولكنه يعيش حياة الترف في مزرعة فوكس وود، مقابل الدفاع عن مصالح بلكنجتون.

انبهرت الحيوانات بحديث سكويلر، وأُعجبت بدهاء نابليون، وخداعه لبلكنجتون، فمن خلال تظاهره بصداقة بلكنجتون، أرغم فردريك على رفع سعر الخشب لاثني عشر جنيهًا عن سعره الأصلي؛ حتى لا يحصل عليه بلكنجتون، واستكمل سكويلر حديثه أن حكمة نابليون ودهاءه يظهر في أنه لا يعطي الثقة لأحد، حتى فردريك، فقد عرض عليه فردريك أن يدفع ثمن الخشب عن طريق "شيك"، وهو عبارة عن ورقة يُكتب عليها المبلغ المراد تسديده، ولكن نابليون كان أذكى منه، وطلب أن يُدفع المبلغ بورق حقيقي فئة الخمسة جنيهات قبل استلام الخشب، وقد وافق فردريك على هذا الشرط، وسدد المبلغ المطلوب، والأن أصبح لدينا ما يكفينا من الأموال لشراء ما يلزم الطاحونة من معدات.

بعد تسليم الأخشاب واستلام المبلغ المالي، قام نابليون بتجميع الحيوانات في حظيرة الاجتماعات؛ ليُريهم النقود عن قرب و، فاضجع نابليون على سرير من القش مرتديًا وساميه، وعلى وجهه ابتسامة عريضة، وبجانبه النقود مرتبة بعناية على طبق من الخزف الصيني، كانت تمر الحيوانات ببطء تُمعن النظر في النقود، غير مصدقة ما تراه، أما بوكسر فقد مد أنفه يشمشم في النقود، حتى تطايرت بعض الأوراق من شدة أنفاسه.

وبعد ثلاثة أيام حضر ويمبر على دراجته بوجه شاحب، وركض إلى منزل المزرعة، وقد أحدث حضوره حالة من الصخب في المزرعة، وسُمع صُراخ نابليون، وسُرعان ما انتشر خبر الزيارة بين الحيوانات مثل النار في الهشيم، فقد تبين أن فردريك قدم نقودًا مزورة، وبهذا يكون قد حصل على الخشب مجانًا. وقد استدعى نابليون الحيوانات في اجتماع طارئ، وأصدر على فردريك حكم الإعدام، وعندما يتم إلقاء القبض عليه فسوف يتم سلقه في الماء المغلي، كما حذرهم من هجوم فردريك ورجاله عليهم في أي لحظة، بعد أن انكشف أمره؛ ولذلك فقد أمر بتشديد الحراسة على جميع مداخل المزرعة، كما أرسل إلى مزرعة فوكس وود أربع حمامات تحمل رسائل لإعادة العلاقات بينه وبين بلكنجتون.

في صباح اليوم التالي، وأثناء تناول الحيوانات فطورها، دخلت الحيوانات المكلفة بالحراسة مسرعة، تُنذر بأن فردريك ورجاله اقتحموا بوابة المزرعة ذات الخمس عوارض.. هرعت الحيوانات لمواجهة أعدائها بشجاعة، لكن هذه المرة لم يكن النصر سريعًا كالمرة السابقة في معركة "زريبة البقر"، فكان في مواجهتهم خمسة عشر رجلاً، ست منهم مسلحون بالبنادق، وما أن اقتربت الحيوانات أطلقت عليهم النيران على بعد خمسين ياردة، فلم تستطع الحيوانات مواجهة هذا الوابل من الرصاص، فتراجعوا إلى الخلف، وعلى الرغم من من الجهد الذي بذله نابليون وبوكسر لتجميع صفوفهم، فقد أصيب عدد منهم بجروح، فانسحبت إلى مباني الزرعة؛ لتتحصن بها، واكتفت بالنظر إلى أعدائها من خلف النوافذ والشقوق وثقوب الأبواب، فسقطت المزرعة والطاحونة في أيدي الأعداء.

في هذه اللحظة شعر نابليون بالضياع والهزيمة، فظل يدور في غرفته ذهابًا وإيابًا، يسترق النظر إلى مزرعة فوكس وود، يتمنى لو يمد له بلكنجتون يد العون، فسينقلب الحال. في هذه الأثناء رجعت الأربع حمامات حاملة رسالة لنابليون ردًّا على خطابه، فكتب له بلكنجتون عبارة واحدة: "هذا ما تستحقون".

في هذه اللحظة هرع فردريك ورجاله تجاه الطاحونة.. كانت الحيوانات تراقبهم في حالة من الذعر، فتقدم رجلان يحملان معولاً

لهدم الطاحونة.. حاول نابليون طمأنة الحيوانات بأنهم لا يستطيعون هدم الطاحونة بهذه السرعة؛ لأنهم يحتاجون أسبوعًا على الأقل، فتمسكوا بشجاعتكم، ولا تتكسروا.

كان بنيامين يراقب تحركات الرجال، فقاموا بعمل حفرة تحت الطاحونة، وقد أدرك بنيامين ما ينوون فعله، فقال: "أشك في ذلك، فسيضعان المفرقعات في هذه الحفرة".

لم تستطع الحيوانات الخروج من المبنى، وظلت ترقبهم في رعب، وبعد دقائق رأت الرجال يركضون بعيدًا عن الطاحونة، ثم دوى انفجار هائل.. طار الحمام مذعورًا عند سماعه، وألقت الحيوانات بنفسها على الأرض، وأخفت وجوهها، فيما عدا نابليون، وحينما رفعت رءوسها لتتابع ما حدث، رأت غيمة كبيرة من الدخان تغطي المكان، وعندما تلاشت السحابة اختفت الطاحونة، ولم يتبقَّ سوى الحُطام.

استعادت الحيوانات شجاعتها عندما رأت هذا المشهد، واختفى الخوف داخلها، وحل محله غضب شديد، وانطلق منها صراخ الانتقام، فهجمت على أعدائها، ولم تنتظر الأوامر، غير مبالية بالرصاص فوق رءوسها، وعندما ضيقت الحيوانات الخناق على الرجال، واقتربت غير مكترثة بالرصاص، قام الرجال بضربهم بعصيهم وأحذيتهم.

وقد قتلت بقرة وثلاث نعاج وإوزتان، وأصيب الباقون بجروح.. كان نابليون قائد المعركة، وأصيب ذيله برصاصة فقطعته، كما أصيب الرجال جميعًا، وقد أصاب بوكسر جماجم ثلاثة منهم بضربات من حافره الحديدي، كما أحدث البقر جرحًا غائرًا في بطن أحدهم بقرونها، وآخر مُزق سرواله من قِبل الكلبتين جيسي وبلوبل، كما أصدر نابليون أوامره لكلابه التسعة المُكلفة بمراقبة الأسوار، فظهرت الكلاب فجأة فألقى ظهورها المفاجئ الرعب في قلوب الرجال، وخاصة عند سماح صوت نُباحها الشرس، فأصدر فردريك أوامره بالانسحاب في الحال، وركض الرجال خارج المزرعة، وانطلقت خلفهم الحيوانات؛ مما اضطرهم إلى الهروب خارج المزرعة؛ لينجوا بحياتهم.

لقد كُتب النصر للحيوانات مرة أخرى؛ لكنها منهكة تنزف الكثير من الدماء، وعادت إلى مباني المزرعة تعرج، وقد تحركت مشاعرهم، وبكت على منظر جثث رفقائها، وتوقفت أمام أطلال الطاحونة تنعي أنفسها؛ فقد كانت الطاحونة رمزًا يمجد إرادتها، وها هي الآن أصبحت حُطامًا، وحتى أحجارها تفتت بسبب الانفجار، ولا يمكن استخدامه مرة أخرى لإعادة بنائها، فقد بدا المنظر وكأن الطاحونة لم تكن من قبل.

باقتراب الحيوانات من مباني المزرعة إذا بسكويلر يخرج عليهم، ولم يكن لاختفائه من المعركة أي مبرر، فوقف أمام الحيوانات تغمره السعادة، وسُمع صوت دوي رصاص، فتساءل بوكسر عن سبب إطلاق الرصاص، فرد عليه بوكسر: احتفالاً بالنصر، فسأله بوكسر ورجليه تنزفان دمًا -وقد فقد حدوة حديدية، وأصيب بكسر في أحد حوافره، وأصيب ساقه الخلفي بعشرات الشظايا-: "أي نصر؟!"

صاح به سكويلر: تتساءل عن النصر؟! ألم نطرد العدو من أرض المزرعة؟! أرض مزرعة الحيوان المقدسة؟! فقال بوكسر: ولكنهم حطموا الطاحونة التي استغرق بناؤها عامين، فصاح سكويلر: سنبني واحدة أخرى. سنبني ست طواحين إن أردنا.

ألا تتخيلون مدى الإنجاز الذي حققناه؟ ألم يحتل الأعداء أرضنا وحررناها من أيديهم، بفضل الزعيم الرفيق نابليون، وها نحن نقف عليها مرة أخرى؟! وهنا سأله بوكسر من جديد: أي نصر؛ فقد استعدنا ما كان لنا من قبل؟! فأجابه سكويلر: وهذا هو النصر.

وواصلت الحيوانات سيرها وهي تعرج، وكان بوكسر يتألم جدًّا من ساقه التي أصيبت بالرصاص، فتراءى في ذهنه العمل الشاق الذي تتطلبه الطاحونة الجديدة، فلابد أن يُعاد بناء الطاحونة. وبمجرد التفكير في هذه المهمة الشاقة شعر - ولأول مرة- أنه في الحادية عشرة من عمره، وربما لن يقوى على العمل كما كان من قبل.

خُيل للحيوانات أنها أحرزت نصرًا حقيقيًّا عندما رأت العلم الأخضر يرفرف، وسمعت الرصاص يدوي لسبع مرات، وخطب فيهم نابليون ليهنئهم على شجاعتهم، كما شُيعت جنازة الحيوانات ضحايا المعركة في موكب مهيب، كما جر بوكسر وكلوفر عربة عليها جثث الضحايا، وتقدم نابليون الموكب، كما تم تخصيص يومين للاحتفال بالنصر وإلقاء الخطب، وترديد الأناشيد وإطلاق الرصاص، كما وزعت عليهم الهدايا؛ اعترافًا لهم بالجميل، فأهدي لكل منهم تفاحة، وكل طائر أوقيتين من القمح، ولكل كلب ثلاث قطع من البسكويت، كما أطلق نابليون اسم "معركة الطاحونة" على آخر معركة، وقد منح نابليون نفسه وسام المعركة من مرتبة "العلم الأخضر"؛ تمجيدًا لذكرى المعركة.

وفي غمرة الابتهاج بالنصر، طوى النسيان قضية النقود المزيفة، وبعد أيام من النصر، وجدت الخنازير صندوقًا من الويسكي في مخزن المنزل، وفي تلك الليلة سمعت الحيوانات أصوات غناء الخنازير بصوت عالٍ وصخب شديد، واختلطت أنغام الأغاني مع نشيد "يا وحوش إنجلترا"، الذي تم منعه، فدُهشت الحيوانات لذلك، وفي التاسعة والنصف مساء، ظهر نابليون مرتديًا قبعة جونز، مهرولاً من الباب الخلفي، حائر العقل.. دار في ساحة الفناء، ثم عاد من حيث أتى!

في الصباح، خيم الصمت على المنزل، ولم يظهر أحد من الخنازير قط حتى التاسعة صباحًا، حين خرج سكويلر في مظهر مثير للشفقة.. عيناه منتفختان، يمشي ببطء وذيله متهدل خلفه، يعلوه الاكتئاب، حتى ظنت الحيوانات أنه مريض.. دعا سكويلر الحيوانات لاجتماع؛ ليلقي عليهم خبرًا سيئًا، ألا وهو: "أن الرفيق الزعيم نابليون يحتضر!".

عندئذ بدأت الحيوانات في النحيب، وقامت بتغطية الفناء بالقش؛ حتى لا تحدث صوتًا عند مشيها، وكانت تمشي على أطراف أصابعها؛ حتى لا تزعج المحتضر، فكانت تتحدث بالهمس، وتسأل بعضها والدموع تملأ أعينها عن مصيرها بعد رحيل قائدها..

شاعت الأقاويل بأن سنوبول هو من وضع السم في طعام نابليون.. وفي الحادية عشرة، خرج سكويلر ليلقي عليهم هذا الخبر: أن الزعيم قد أصدر آخر قرار له قبل وفاته، بإعدام كل من يحتسي الخمر.

وفي المساء وصل إليهم خبر سعيد، بتحسن صحة الزعيم، وفي اليوم التالي أعلن سكويلر أن صحة نابليون في أفضل حال. وفي مساء اليوم التالي أُعلن أن نابليون عاد إلى منصبه وبدأ عمله، وفي اليوم التالي أمر نابيلون ويمبر بشراء كتيبات تشرح طرق تصنيع الخمر.

وبعد أسبوع من هذا القرار، أمر نابليون بحرث المرعى الصغير الذي كان خصص من قبل لكبار السن من الحيوانات، وقد برر هذا القرار بأن هذا المرعى ساء حاله بسبب الحشائش الضارة، ويجب حرثه وتمهيده للزراعة، وقد أمر فيما بعد بزراعته بالشعير.

وفي منتصف ليل هذه الليلة وقع حادث مريب؛ فقد سمعت الحيوانات صوت جسم يرتطم على الأرض، وشيئًا سقط من أعلى، فهرعت الحيوانات إلى الفناء لترى ما حدث، فرأت ما لم تستطع فهمه، وجدت سلمًا مهشمًا وسكويلر مُلقى بجانبه، وهو في حالة ذهول، وبجواره مصباح وفرشاة وبقايا طلاء أبيض مسكوب على الأرض من علبة مقلوبة.. كل ذلك بجوار حائط المبنى المدون عليه الوصايا السبع!

كانت الكلاب تحيط بسكويلر لحراسته، وعندما أفاق واستطاع النهوض، ذهب إلى المنزل في صمت بين دهشة الحيوانات، إلا بنيامين، الذي استطاع فهم ما حدث، ولكن فضل الصمت كعادته.

وبعد أيام من هذا الحادث، كانت موريل تعيد لنفسها قراءة الوصايا السبع، ولاحظت أن نص الوصية الخامسة قد تغير عما كانت تحفظه عن ظهر قلب. فكانت الوصية تقول: "غير مسموح

للحيوانات بشرب الخمر"، إلا أنها اكتشفت وجود كلمتين لم تلحظهم من قبل، فأصبحت الوصية "غير مسموح للحيوان شرب الخمر... لحد الإفراط".

***

الفصل التاسع

استغرق حافر بوكسر وقتًا طويلاً ليتم شفاؤه، وبعد انتهاء الاحتفال بالنصر، بدأت الحيوانات في إعادة بناء الطاحونة، وعلى الرغم مما يعانيه بوكسر من ألم، فلن يقبل بتوقف العمل يومًا واحدًا.. كان يُخفي ما يشعر به من ألم على رفقائه؛ اعتزازًا بكرامته، فكان يذهب لكلوفر ليلاً بعد انتهاء العمل؛ ليشكو لها ما به من ألم، فكانت تعد له كلوفر بعضًا من الحشيش الممضوغ؛ لتداوي به جرحه الأليم، فكانت تلح عليه هي وبنيامين محاولة منهم لإقناعه بألا يرهق نفسه في هذا العمل، وألا يبذل مجهودًا، فكانت دائمًا ما تقول له إن "رئتا الحصان لا تتحملان هذا المجهود"، ولكنه كان لا يلقي لها بالاً، وكان هدفه الأسمى أن ينتهي من بناء الطاحونة قبل بلوغه سن التقاعد.

في بداية الانقلاب صدر قانون بتحديد سن التقاعد، وطرح هذا القانون للتصويت، وحاز على أغلبية الأصوات، وكانت هذه السن اثني عشر عامًا للخيول، وأربعة عشر للبقر، وتسعًا للكلاب، وسبعًا للأغنام وخمسة أعوام للدجاج والإوز والبط. ولم يبلغ أحد من الحيوانات سن التقاعد، إلا أن الموضوع طرح للنقاش عدة مرات،

وتم الاتفاق على: بعد زراعة المرعى الصغير بالشعير، فسيخصص جزء من المرعى الكبير ويسور، ويجهز للمتقاعدين من الحيوانات، كما تم الاتفاق على المقررات الغذائية، وستكون عبارة عن خمسة أرطال من الغلال يوميًّا، يُضاف عليها خمسة عشر رطلاً من الدريس شتاءً، كما يضاف إليها الجزر أو التفاح في المناسبات.

كان بوكسر سيتم الاثني عشر عامًا في نهاية صيف العام التالي؛ لذلك كان العمل يتم على قدم الوثاق، وكانت الحيوانات تواصل العمل حتى في الشتاء القارس، على الرغم من قلة الغذاء.

وقد تم تخفيض وجبات الحيوانات مرة أخرى، ما عدا الخنازير والكلاب، وقد برر سكويلر ذلك القران بأن "المساواة بين الحيوانات في الوجبات يتنافى ومبادئ الحيوانية". وقرأ عليهم البيانات الإحصائية التي توضح أن وجباتهم بعد تعديلها كافية تمامًا، والعكس بالعكس تمامًا. وكان سكويلر دائمًا ما يستخدم لفظة "تعديل" بدلاً من "تخفيض"، وقد أوضحت البيانات التي قرأها عليهم سكويلر أن مقرراتهم الغذائية تفوق ما كان يقدمه لهم جونز، وتوضح مدى النعيم الذي تحياه الحيوانات، وبنبرة حادة سريعة شديدة الانفعال، أوضح لهم سكويلر الزيادة التي تنالها في كل المواد الغذائية من القرطم والدريس واللفت، كما تم خفض ساعات العمل، وتم تنقية المياه،

وارتفاع متوسط أعمارهم، وانخفاض نسبة وفيات الأطفال، كما تم زيادة كمية القش للتدفئة، كما أن البراغيث قلت كثيرًا عما كانت عليه قبل الثورة. واستطاع بذلك إقناع الحيوان، معتمدًا على ضعف ذاكرتهم، وأنها لا تتذكر ما كانت عليه في عهد جونز، وبالتالي قامت الحيوانات بتصديقه.

وعلى الرغم من صعوبة العمل الذي تقوم به الحيوانات، وما تواجهه من صعوبات الشتاء القاسي، إلا أنها كانت تشعر بالسعادة، وتشعر أنها أفضل حالا مما كانت عليه قبل الثورة في عهدها السابق؛ فما عرضه عليها سكويلر من بيانات أقنعها لدرجة أنها شعرت بالراحة والسعادة، كما ألمح إليهم بمدى الحرية التي يعيشونها؛ فقد كانوا عبيدًا من قبل؛ مما أدى إلى سعادتهم بالعمل.

وبقدوم الخريف، أنجبت أربع خنازير واحدًا وثلاثين مولودًا، فزادت الحيوانات في المزرعة، وزاد عبء إطعامهم، وبما أن الخنازير الوليدة رقطاء اللون، وأن نابليون هو الذكر الوحيد في المزرعة الذي لم يتم إخصاؤه، فكان من السهل إثبات نسب هذه الحيوانات، وقد أعلن نابليون هذا رسميًّا، وأخذ على عاتقه تعليم هذه الخنازير؛ ولذلك قرر بناء مدرسة خاصة بها بمجرد تجهيز الطوب والأخشاب اللازمة للبناء.

كان يُشرف نابليون بنفسه على توجيه صغار الخنازير في مطبخ المنزل، أما التدريبات الرياضية فكانت تتم في حديقة المنزل، ثم أُصدر قرار بعدم اختلاطهم مع صغار الحيوانات الأخرى، كما تم صدور تعليمات للحيوانات الأخرى، تقتضي بأن إذا ما قابل أي من الحيوانات خنزيرًا في ممر ضيق، فعلى الحيوان أن يقف جانبًا حتى يعبر الخنزير، كما أن لجميع الخنازير -بجميع رتبها- تزيين ذيولها أيام الآحاد بالأشرطة الملونة.

وعلى الرغم من زيادة المحصول هذا العام، إلا أنه لا يوجد نقود تكفي لشراء الطوب والرمل والجير اللازم لبناء المدرسة، وما تحتاجه الطاحونة من مستلزمات، وعليهم أيضًا شراء البترول لإضاءة المزرعة والشموع لإضاءة المنزل، والسكر لنابليون؛ فقد تم حظر تناوله على باقي الخنازير؛ حتى لا يزيد وزنهم، إضافة إلى بعض الأدوات الضرورية؛ كالمسامير والحبال والفحم والأسلاك والحديد وبسكويت الكلاب. ولتوفير هذا المال تم بيع كمية من الدريس ومحصول البطاطس، كما تم تعديل عقد بيع البيض إلى ستمائة بيضة أسبوعيًّا، بدلاً من أربعمائة؛ مما أدى إلى نقص عدد الدجاج بالمزرعة؛ بسبب بيع الكثير من البيض المعد للفقس، كما تقرر خفض وجبات الحيوانات في ديسمبر، كما تم خفضها مرة أخرى في فبراير، كما تم منعهم من استخدام المصابيح في الحظائر؛ توفيرًا للبترول،

وعلى الرغم من هذه القرارات، إلا أن الحيوانات كانت أكثر سعادة؛ بل إنها زادت في الوزن.

وفي ظهيرة أحد الأيام، اشتمت الحيوانات رائحة طعام شهي يطهى، ولم تشم الحيوانات مثل هذه الرائحة من قبل، فكانت الرائحة منبعثة من معمل الخمور خلف المطبخ، الذي تم تنظيفه بعد أن كان مهملاً بعد خروج جونز، وكانت رائحة الشعير المطهي شهيه، فكانت الحيوانات تتمنى وجبة ساخنة على العشاء، تقوم بتدفئتهم ليلاً، ولكن حلمها كان بعيد المنال، بل أيضًا صدر قرار في اجتماع يوم الأحد بتخصيص محصول الشعير كاملاً للخنازير فقط، وقد تم زراعة الشعير في حديقة الفاكهة. وقد علمت الحيوانات أنه تم إقرار قدح من الخمر في وجبة الخنازير يوميًّا، أما نابليون فخصص له نصف جالون يقدم في طبق عميق مزخرف من الصيني.

وعلى الرغم مما تعانيه الحيوانات من قسوة، إلا أن عزاءها الوحيد أنها تعيش بكرامة أكثر من عهدها السابق، وكذلك كانت تنعم بمزيد من الأغاني والخطب والمواكب، كما أمر نابليون بحفلة مفاجآت أسبوعية؛ احتفالاً بانتصارات مزرعة الحيوان، فكانت الحيوانات تصطف، ويتقدمهم الخنازير، تتبعها الخيل، ثم البقر فالغنم، وأخيرًا طيور المزرعة، وتسير في مشية عسكرية حول حدود المزرعة، بينما الكلاب كانت تسير على جانبي الموكب، يتصدرهم

جميعًا ديك نابليون الأسود، أما بوكسر وكلوفر فكانا يحملان علم المزرعة الأخضر المزين بحافر وقرن، وكُتب عليه "يحيا الرفيق نابليون".

بعد الانتهاء من الموكب كانوا يقومون بإلقاء القصائد لمدح نابليون، ثم بعد ذلك يبدأ سكويلر بإلقاء خطبة البيان الإحصائي لزيادة الإنتاج الغذائي، وكانت تطلق رصاصة من البندقية احتفالاً بهذه المناسبة.

في هذه الاحتفالات، كانت الأغنام أكثر حماسًا وترحيبًا، فإذا تذمر أحد من الحيوانات من طول الاحتفالات، والوقوف في البرد، وتضيع الوقت، كانت تردد هتافها المعهود "ذوات الأربع أخيار، وذوو الرجلين أشرار". كانت الحيوانات تشكو أو تتذمر ما لم يكن الخنازير أو الحمام بجوارها، لكن أغلب الحيوانات كانت تستمتع بهذا الاحتفال وما به من أغانٍ وخطب عن الكرامة والحرية، كما كانت تستمتع أيضًا بالموكب والبيانات الإحصائية لسكويلر، وصوت دوي الرصاص ورفع العلم، وصوت الديك، فكل هذا كان يُنسيها مؤقتًا ما تعانيه بطونها من جوع.

أعلنت مزرعة الحيوان في أبريل أنها ستطبق نظام الحكم الجمهوري، كما أنه سيتم انتخاب رئيس للجمهورية، فلم يتقدم أحد

للانتخاب لهذا المنصب سوى نابليون؛ لذلك تم انتخابه بالإجماع. وفي ذلك اليوم أذيع أنه تم العثور على مستندات جديدة، تثبت تواطؤ سنوبول وتآمره ضد الحيوانات في معركة "زريبة البقر"، فقام بخداع الحيوانات في المعركة بأنه السبب في انتصارهم؛ ولكنه في الحقيقة كان في صفوف جونز ورجاله؛ بل وكان قائدهم، وكان يحارب تحت شعار "تحيا البشرية"، وأن ما رأيتموه من إصابة في ظهره لم يكن من رصاص جونز؛ بل كان من أسنان نابليون.

في منتصف فصل الصيف، تفاجأت الحيوانات بظهور الغراب موسي بعد غيابه لسنوات طويلة.. لم يتغير في شيء، فكما هو كسول عاطل عن العمل، كما كان يحكي قصته القديمة عن "جبل السكر نبات"، فكان يقف على جذع شجرة فاردًا جناحيه الأسودين، ويبدأ في سرد قصصه لساعات طويلة، وكان يشير إلى السماء بمنقاره الضخم، ويقول بصوت مهيب: هناك يا رفاقي في السماء، وخلف هذه السحابة السوداء التي أمامكم جبل "السكر نبات".. أرض السعادة التي ستستريح بها الحيوانات إلى الأبد بعد العناء والشقاء.

ولم يكتفِ موسي الغراب بهذه القصص؛ بل كان يدعي بأنه حلق في السماء، وصعد إلى هناك بنفسه، وشاهد سور الفطائر وكتل السكر التي تحيط بحقول البرسيم.. الكثير من الحيوانات قامت

بتصديقه، وآمنت بما يقول، فكانت حياتها حياة شقاء وجوع، وكانت تتخيل عالمًا آخر ينتظرها يسوده العدل والحق.

كان موقف الخنازير من موسي غريبًا؛ فعلى الرغم من أنها كانت لا تؤمن بكلامه عن جبل السكر، ودائمًا تسخر منه، إلا أنها كانت تسمح له بالإقامة في المزرعة بلا عمل، وأيضًا خصصت له قدحًا يوميًّا من الخمر!

شُفي حافر بوكسر، وكان مستمرًّا في عمله دون كلل أو ملل بعزيمة قوية، وزادت هذه العزيمة بعد شفائه، وضاعف من جهده. كانت الحيوانات تعمل طوال العام كالعبيد، وبالإضافة إلى عملها في بناء الطاحونة والحقل، كانت تقوم ببناء مدرسة خاصة لصغار الخنازير، بدءًا من شهر ما رس. وعلى الرغم من العمل القاسي ونقص الغذاء، إلا أن بوكسر لم يتعب، ولم يكل، ولم تؤثر عليه أعراض الشيخوخة؛ فقد تغير مظهره، ولم يعد شعره يلمع، ونقص وزنه وكان رفقاؤه يأملون في زيادة وزنه عند دخول الربيع، ولكن لم يتحقق أملهم هذا، فظهرت عليه مظاهر الضعف، وكان يجد صعوبة عند صعود التل من المحجر إلى الطاحونة؛ ولكن إرادته القوية كانت تبقيه صامدًا أمام الصعاب، وكانت الحيوانات دائمًا تسمعه يردد مقولته: "سأعمل أكثر" بوهن شديد، وكان بنيامين وكلوفر دائمًا

ينصحانه بعدم إرهاق نفسه، والحفاظ على ما تبقى لديه من قدرة، ولا يبدد عافيته، ولكنه -كعادته- لا يبالي لهما، فكان كل ما يشغله أن يجمع للحيوانات أكبر قدر من الحجارة اللازمة لبناء الطاحونة، قبل أن يتم عامه الاثني عشر ويتقاعد.

وفي ساعة متأخرة من مساء صيفي، انتشر خبر مؤسف بأن سوءًا قد أصاب بوكسر، عندما كان يجر أحمالاً من الحجارة إلى الطاحونة بمفرده، وبعد قليل جاءت حمامتان مذعورتان يؤكدان الخبر؛ فقد سقط بوكسر على جانبه، ولا يستطيع النهوض. اندفعت الحيوانات مهرولة إلى الربوة؛ لتجد بوكسر قد طُرح أرضًا تحت نقالة العربة، ورقبته ممددة إلى الأمام، ولا يستطيع أن يرفع رأسه، والعرق يغمر جانبيه، وعيناه تلمعان كالزجاج، لا أثر فيهما للوعي أو الإدراك، وكان خيط رفيع من الدماء يسيل من فمه.

جثت كلوفر بركبتيها بجواره، وسألته باكية: بوكسر، كيف حالك؟ فأجابها بوهن: رئتاي، وأكمل متمتمًا: لقد جمعت من الحجارة ما يكفي لبناء الطاحونة، ولا يهمني شيء بعد ذلك، والآن أنتم قادرون على إكمالها، وإنني قاربت على بلوغ سن التقاعد، ولم يتبقَّ سوى شهر واحد، فكنت أتطلع دائمًا إلى التقاعد ولكني لا أظهر ذلك، وبنيامين أيضا قرُب على بلوغ سن التقاعد، وسوف يؤنس بعضُنا بعضًا.

قالت كلوفر: يجب علينا نقله إلى مبنى المزرعة، وطلبت من إحدى الحيوانات إبلاغ سكويلر بما حدث، فهرعت الحيوانات نحو المزرعة، ولم يتبقَّ سوى كلوفر وبنيامين، الذي جثا بجانبه في صمت يهُش عنه الذباب بذيله.

وبعد ربع ساعة، حضر سكويلر وحوله الحيوانات، وقد أبدى تعاطفه واهتمامه البالغ، وأبلغ بوكسر بمدى أسف الزعيم نابليون عليه؛ لأنه يعتبره من أخلص حيوانات المزرعة، وأمر بنقله إلى المشفى البيطري بويلنجدون.

استاءت الحيوانات من قرار نقل بوكسر إلى المستشفى، فلم يخرج أحد منهم قط خارج المزرعة سوى سنوبول ومولي، كما أنها لا تطمئن عليه في المستشفى تحت رعاية الآدميين، ولكن بوكسر أقنعها بأن بوكسر يحتاج لرعاية لا نستطيع توفيرها له في المزرعة.

بعد نصف ساعة، استرد بوكسر جزءًا من عافيته، وبصعوبة استطاع النهوض، وذهب ببطء شديد إلى حظيرته، وكانت كلوفر قد جهزت له كومة من القش لينام عليها، وظل طريح الفراش ليومين كاملين، وقد عثرت الحيوانات في حمام المنزل على زجاجة من الدواء، كانت كلوفر تعطيه منها مرتين بعد الأكل، وبعد انتهاء العمل مساء، كانت تذهب إليه لتنام بجواره في حظيرته، وتتحدث إليه، كما كان

يزوره بنيامين، ويهش عنه الذباب بذيله الطويل.

كان بوكسر شجاعًا حتى في مرضه، فكان يقاوم، وأخبرهم بعدم انزعاجه مما حدث، وما إن يتم شفاؤه، فيتوقع أن يعيش ثلاثة أعوام أخرى، وأنه سيقضي تلك السنوات في زاوية من المرعى الكبير؛ مما يتيح له فرصة للدراسة والمعرفة، وتعلم الاثنين وعشرين حرفًا المتبقين له من الحروف الهجائية، ولم تستطع كلوفر زيارته وخدمته إلا بعد ساعات العمل.

في ظهيرة أحد الأيام، كانت الحيوانات منشغلة في الحقل بزراعة اللفت تحت إشراف الخنازير، بينما حضرت عربة ضخمة يجرها حصانان إلى المزرعة لنقل بوكسر.. فوجئت الحيوانات ببنيامين، وهو يجري قادمًا من مباني المزرعة إليهم، وهو يصرخ بأعلى صوته، لم تره الحيوانات بهذه الحالة من الانفعال من قبل؛ بل كانت المرة الأولى التي تراه فيها يجري بهذه السرعة صارخًا فيهم: أسرعوا أسرعوا، إنهم يأخذون بوكسر بعيدًا..

تركت الحيوانات أعمالها مسرعة دون أن تستأذن الخنازير، مهرولة إلى مباني المزرعة؛ حيث رأت عربة ضخمة صندوقية يجرها حصانان، وعليها كتابات بحروف كبيرة بارزة، وكان يقودها رجل يبدو عليه المكر.

تزاحمت الحيوانات حول العربة تودع بوكسر: "وداعًا بوكسر.. وداعا.. وداعًا".

"مغفلون مغفلون".. صرخ فيهم بنيامين وهو يدور حولهم ضاربًا الأرض بحوافره: "أيها الأغبياء ألم تقرأوا ما كُتب على جانبي العربة؟! فخيم الصمت عليهم، وبدأت موريل في فك الرموز، محاولة قراءة ما دون على العربة، ولكن أزاحها بنيامين جانبًا، وبدأ يقرأ ما كُتب عليه وسط اندهاش الحيوانات: "ألفريد سموندز - جزار خيول - وتاجر غراء - متعهد جلود وعظام - ومورد غذاء للكلاب - ويلنجدون". هل فهمتم الآن ما يدور حولكم؟ إنهم يأخذون بوكسر إلى الجزار لذبحه.

صدرت عن الحيوانات صرخة رعب واستنكار، وفي هذه اللحظة ضرب الرجل خيوله بالسوط، فخبَّت وهي تجر العربة مغادرة الفناء.

هرعت الحيوانات خلف العربة وهي تصرخ، وأخدت كلوفر تجري بأقصى ما لديها من سرعة، وهي تنادي: بوكسر.. بوكسر.. بوكسر.. بوكسر! فأطل عليها بوكسر بوجهه ذي الوسمة البيضاء.

صرخت كلوفر به محذرة: اهرب بسرعة؛ إنهم يأخذونك إلى الموت.. وصاحت الحيوانات: اهرب يا بوكسر! ولكن العربة كانت تبتعد بسرعة..

لم تتأكد كلوفر من أن بوكسر قد فهم ما قالته له، إلا أن راسه قد اختفى لداخل العربة، ثم سمعت الحيوانات صوت حوافر بوكسر تحدث ضجيجًا بجدران العربة الخشبية، وكأنه يحاول أن يجد مهربًا؛ فقد كان في استطاعته تدمير هذه العربة بضربات قليلة في الماضي، لكن الآن بعد أن أصبح عجوزًا وفقد قوته، فما هي إلا لحظات قليلة من المحاولة حتى اختفى صوت حوافره، وفي محاولة من الحيوانات اندفعت تجري وتطلب من حصاني العربة أن يتوقفا، ولا يأخذان رفيقهما إلى الموت.

تحركت آذان الحصانين للخلف؛ يحاولان استماع صراخ الحيوانات، ولكنهم لم يفهما، وانطلقا إلى الأمام بسرعة.. شرعت الحيوانات في العدو نحو البوابة ذات العوارض الخمس؛ لمنع العربة من الخروج، ولكن قد فات الأوان؛ فالعربة كانت قد اقتربت منها، وشقت طريقها إلى الخارج، وقد اختفت واختفى معها بوكسر.

بعد ثلاثة أيام من هذه الحادثة، تم إعلان خبر وفاة بوكسر في المستشفى في ويلنجدون، على الرغم مما تلقاه من عناية ورعاية بالغة، وقد أبلغهم سكويلر بهذا الخبر، وأبلغهم أنه كان بجانبه حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، وكان يخطب فيهم وهو يمسح دموعه التي لم يستطع أن يحبسها، أنه تعرض إلى موقف لم يتحمله وهو يستمع إلى صوت

بوكسر الواهن هو يهمس في أذنه: "إن قلبي يعتصر حزنًا لأنني لم أشهد الطاحونة بعد اكتمالها". ولفظ آخر أنفاسه وهو يقول: "إلى الأمام يا رفاق في ظل الثورة، تعيش مزرعة الحيوان، يعيش الزعيم نابليون، نابليون دائمًا على حق".

وفجأة صمت سكويلر، واحتقن وجهه وهو يلحظ التحدي في أعين الحيوانات، وانتفض انتفاضة شديدة توضح توتره، فقد عرف بالإشاعة التي انتشرت بين الحيوانات بأن العربة التي نقلت بوكسر إلى المستشفى كُتب عليها "جزار خيول"، فاستنتجت الحيوانات أن بوكسر قد بيع إلى الجزار.

قال سكويلر إنه لا يكاد يصدق مدى الغباء الذي وصلت إليه بعض الحيوانات، ثم صاح وهو ينتفض ويهز ذيله بعصبية: لا شك في أنكم تعرفون جيدًا الزعيم نابليون، وتعرفون أيضًا المبادئ التي يعمل لتحقيقها المحبوب نابليون، فالموضوع غاية في البساطة: إن العربة حقًّا كانت ملكًا لجزار، وقد باعها للمستشفى، ولم يكن لديهم وقت كاف لطلاء العربة ومحو ما عليها.. ومن هنا التبس عليكم الأمر، وهنا شعرت الحيوانات بالارتياح، ثم عاد سكويلر لحديثه عن اللحظات الأخيرة في حياة بوكسر، ومدى الرعاية الطبية التي لاقاها والأدوية باهظة الثمن التي اشتراها له نابليون.

بعد هذا الحديث كانت قد محيت كل شكوك الحيوانات، كما خففت من وطأة الأسى والحزن على رفيقها.. فعلى الأقل أنه مات سعيدًا.

وفي يوم الأحد التالي، ظهر نابليون بنفسه في الاجتماع وألقى كلمة قصيرة ينعي ببالغ الحزن والأسى بوكسر، كما أعرب عن أسفه الشديد لأنه لم يستطع الإتيان بجثة بوكسر ودفنها في المزرعة، ولكنه أوصى بعمل إكليل زهور فخم من زهور اللوريل المزروعة بالحديقة؛ ليوضع على قبره، كما قررت الخنازير إقامة وليمة تذكارية على شرف الفقيد. وقد أنهى نابليون حديثه بأن الحيوانات عليهم دائمًا ترديد شعاري بوكسر الملازمين له، والاقتداء بهم، وهما: "سأعمل أكثر، ونابليون دائمًا على حق".

وفي اليوم المحدد لهذه الحفلة التذكارية، جاءت إلى المزرعة عربة بقالة من ويلنجدون، وسلمت صنوقًا خشبيًّا كبيرًا لمنزل المزرعة، وفي تلك الليلة سمعت الحيوانات صوت غناء صاخب، تلاه صوت شجار عنيف في حوالي الساعة الحادية عشرة، انتهى بتكسير زجاج، وساد الصمت!

وفي اليوم التالي، لم يستيقظ أحد من الخنازير، وظل الصمت حتى الظهيرة، كما أُشيع أن الخنازير قد اشترت صندوقًا من الويسكي، ولكن لم يعرف من أين ولا كيف !

الفصل العاشر

مرت الكثير والكثير من الأعوام بين مواسم تنتهي وأخرى تأتي، مات خلالها الكثير من الحيوانات ذوات الأعمار المحدودة، ولم يتبقَّ في المزرعة من عهد ما قبل الثورة سوى كلوفر وبنيامين والغراب موسي وبعض الخنازير، في حين مات الكثير من الحيوانات، منهم موريل وجيسي وبلوبل وبنشر، وكذلك مستر جونز قد وافته المنية في مستشفى لعلاج مدمني الخمور.

وقد نُسي سنوبول، وكذلك بوكسر؛ فقد مُحيت ذكراه، إلا في قلوب القليل من رفقائه، وأصبحت كلوفر فرسًا عجوزًا قوية، وقد أصيبت مفاصلها بالتيبس، وكانت عيناها دائمًا مغرورقتين بالدموع، وقد بلغت من العمر ما يزيد عن عامين من سن السن التقاعد، إلا أن فكرة التقاعد في المزرعة لم تعد تُطبق، كما انتهت فكرة المرعى الخاص لرعاية المسنين من الحيوانات.

أما عن نابليون، فقد أصبح خنزيرًا ضخمًا، يزيد وزنه عن ٣٣٦ رطلاً، وكذلك سكويلر قد بلغ من السمنة ما يحول بينه وبين فتح عينيه للرؤية إلا بصعوبة بالغة، أما بنيامين فكما هو لم يطرأ عليه أي تغيير، إلا بعض من الشعيرات البيضاء حول فمه، وقد تأثر بموت بوكسر، فأصبح أكثر صمتًا وانطواءً.

ازدادت أعداد الحيوانات بالمزرعة، ولكن بدرجة أقل مما كان متوقعًا في السنوات الأولى للانقلاب، وقد جاءت للمزرعة أجيال جديدة لم تعرف عن الثورة إلا القليل مما تتناقله الحيوانات الأخرى، كما تم شراء بعض الحيوانات التي لم تسمع من قبل عن الثورة. وقد امتلكت المزرعة ثلاثة خيول أخرى، بالإضافة إلى كلوفر، وعلى الرغم من تميزها بالنشاط والإقبال على العمل، وحب الآخرين، إلا أنها كانت شديدة الغباء، فلم يستطع أحد منها حفظ حرف من حروف الهجاء بعد الباء، وكانت تصدق كل ما تسمعه عن الثورة ومبادئ المذهب الحيواني، خاصة من كلوفر، فكانت تشعر تجاهها بالاحترام والأمومة.

أصبحت المزرعة أكثر رخاءً وتنظيمًا، وقد ضُم إليها حقلان تم شراؤهما من مستر بلكنجتون، واشترى ويمبر عربة صغيرة لنفسه، كما امتلكت المزرعة آلة للدرس، وأخرى لتجميع الدريس، كما تم تشييد مبانٍ كثيرة، كما اكتمل بناء الطاحونة، وإن لم تُستغل في أغراض توليد الكهرباء، واقتصر عملها على طحن الغلال، وعاد ذلك على المزرعة بأرباح طائلة، وانشغلت الحيوانات ببناء طاحونة أخرى؛ ليتم تزويدها بمولد كهربائي.

أما بالنسبة للأحلام الجميلة التي كان يرددها سنوبول على الحيوانات، من تزويد الحظائر بمصابيح كهربائية، والمياه الباردة والساخنة، وتقليص العمل إلى ثلاثة أيام فقط في الأسبوع، فقد طواها النسيان؛ وذلك بسبب ادعاءات نابليون أن هذه الأفكار تعارض المذهب الحيواني، كما أقنعهم بأن السعادة الحقيقية تتمثل في العمل الجاد والتقشف، والزهد في الحياة، وعلى الرغم من ثراء المزرعة، إلا أن الحيوانات ظلت على عهدها القديم من الفقر، عدا الخنازير والكلاب، وكان المبرر لذلك أن الخنازير تمثل الأغلبية، ولم تكن الخنازير عاطلة؛ بل كانت لها تخصصات دقيقة، لا يستطيع أحد سواها القيام بها، كما كان يردد عليهم سكويلر أن الخنازير تؤدي أعمالاً جليلة لا تنتهي في مجالات عِدة؛ كالرقابة والتنظيم الإداري بالمزرعة، وأن هذه المهام أصعب من أن يقوم بشرحها إليهم، وبصورة مبسطة فهي عبارة عن تحرير ملفات وتقارير ومذكرات ومحاضر الجلسات وتدوينها، ومثل هذه الأعمال تُكتب على كميات كبيرة من الورق، وبعد تحبير هذه الأوراق تُجمع بعد ذلك وتُحرق في الفرن.. إنها من أهم الأعمال بالمزرعة، برغم ما يبدو من أن الخنازير لا تساهم بشكل مباشر بالمجهود العضلي، وتتسم بشهية كبيرة.

أما باقي الحيوانات فكانت حياتها روتينية نمطية، فهم دائمًا جوعى، ينامون على القش، ويشربون من البركة، ويعملون في الحقل،

وكانت تعاني من برد الشتاء وذباب الصيف، وكان العجائز منهم يحاولون تذكر أيام الثورة الأولى بعد طرد جونز، وكانت تحاول مقارنة حالها في ذلك الوقت مع ما هي عليه الآن من حيث السعادة والشقاء، ولكن لم تسعفها ذاكرتها على تذكر شيء تستطيع به المقارنة بين ماضيها وحاضرها، إلا بيانات سكويلر التي توضح أنها تتقدم يومًا بعد الآخر، ولم تصل إلى جوابٍ شافٍ بعد هذا التفكير الطويل، كما أن عملها الشاق لم يتح لها فرصة التفكير في شيء.

أما عن بنيامين فكان يحدثهم بأنه يذكر تفاصيل حياته الماضية، وكان دائمًا ما يردد بأن الحياة هي الحياة، فلم تتغير للأفضل أو للأسوأ، فتمر مملة رتيبة، يشوبها الجوع والشقاء وخيبة الأمل، ومع ذلك لم تيأس الحيوانات، ولم تفقد الأمل في المستقبل، علاوة على ذلك، فإنها لم تفقد إحساسها بالكرامة والفخر بانتمائها لمزرعة الحيوان؛ فهم الوحيدون في إنجلترا الذين يملكون مزرعة خاصة ويديرونها بأنفسهم، ولم يتوقف أحد عن الإعجاب بهم، سواء كان صغيرًا أو من الحيوانات الجدد الذين تم شراؤهم من المزارع الأخرى التي تبعد عشرات الكيلومترات عن مزرعة الحيوان.. فكانت دائمًا ما تشعر بالفخر، خاصةً حينما تسمع صوت الرصاص المنطلق من البندقية، أو تشاهد العلم الأخضر يرفرف على قمة السارية، وتبدأ بالحديث عن أيام البطولة وطرد جونز، وكتابة الوصايا السبع،

ومعاركها العظيمة، وانتصارهم على الآدميين، كما أنها حتى الآن متمسكة بأحلامها، كما أنها كانت تؤمن بنبوءة ماجور العجوز بالقضاء على الآدميين، وتطهير حقول إنجلترا الخضراء منهم جميعًا، وسيأتي هذا اليوم عاجلاً أو آجلاً، فكانت دائمًا ما تردد لحن نشيد "يا وحوش إنجلترا" كلما أتيحت لها الفرصة، كما لم تجرؤ على التغني به جهرًا.

كانت تدرك دائمًا أنها حيوانات مختلفة، وغير بقية الحيوانات الأخرى، رغم ما كانت تعانيه من حياة شاقة وآمال بعيدة المنال، إلا أنها كانت تعي تمامًا أنها إذا جاعت فإنها لا تنتظر طعامها من إنسان، ومهما عانت وأُرهقت في العمل، فعملها يعود عليها، ولا يعود للآدميين المتجبرين، كما كانت تشعر بالسعادة أن المزرعة خالية من ذوي الرجلين الاثنين، وليس بها سيد وعبد، أليست كل الحيوانات سواسية؟!

أمر سكويلر الغنم في يوم من أوائل أيام الصيف بأن تتبعه إلى أرض بعيدة في أطراف المزرعة، لا زرع بها سوى شجيرات البتولا الشيطانية.. قضت الأغنام يومها كاملاً هناك ترعى أوراق الشجيرات تحت إشراف سكويلر.. كان سكويلر يعود مساءً للمزرعة وحده دون الأغنام، وطلب من الأغنام البقاء هناك؛ حيث إن الطقس كان دافئًا. واستمر بقاؤها هناك أسبوعًا كاملاً، لا تتصل بباقي الحيوانات،

وكان سكويلر يقضي معها هذا الوقت، كما برر سكويلر ذلك بأنه يعلمها أُغنية جديدة.

وفي ليلة من ليالي الصيف، وبعد عودة الأغنام، وبعد انتهاء الحيوانات من عملها وهي متجهة لمباني المزرعة، سمعت صهيلاً رهيبًا للخيل يأتي من فناء المزرعة، فتوقفت الحيوانات لتدقق السمع، فسمعت الصهيل من جديد، فظنت أنها كلوفر، فهرعت الحيوانات إلى الفناء لترى، ففزعت كما فزعت كلوفر مما رأت؛ حيث رأت خنزيرًا يمشي على رجليه الخلفيتين.. إنه سكويلر.. وكانت رجلاه لا تحملاه من السمنة المفرطة، ولا يستطيع التوازن، على الرغم من اعتياده الوقوف في هذا الوضع بجسده الضخم.

بعد لحظة، خرجت الخنازير من المنزل في صف طويل، تمشي على أرجلها الخلفية إلى فناء المزرعة، وكان البعض يتقن المشية والبعض الآخر يترنح، ولكن استطاعت أن تدور بنجاح حول الفناء، وفجأة علا نباح الكلاب، وسُمع صوت أذان الديك الأسود، صاحب ذلك خروج نابليون بهيئة ملكية وقامة معتدلة، وظل يوزع نظرات متعالية على رعيته وكلابه تحيط به، كما لاحظت الحيوانات وجود سوط في شق ظلفه، فخيم الصمت وسيطر الخوف على الحيوانات، فاقتربت الحيوانات من بعضها في دهشة ورعب، تراقب طابور الخنازير وهي تدور حول الفناء، وأحست بان العالم انقلب رأسًا على

عقب، وبعد زوال آثار الصدمة التي تلقتها، وعلى الرغم من الخوف الذي تملكها، وخوفها كعادتها من كلاب نابليون، وصمتها الدائم خلال سنوات طوال، وعدم الجرأة على الشكوى أو النقد مهما قابلت من عناء وشقاء، إلا أن بعضًا منهم أراد الإفصاح والاعتراض، وقبل أن يفكر أحد في التفوه أو الاحتجاج، انطلقت الأغنام بترديد هتاف بصوت عال، وكأنها تلقت إشارة لهذا، وكان الهتاف جديدًا: "ذوات الأربع أخيار، وذوو الرجلين أفضل!"..

ظلت الأغنام تردد هذا الهتاف لخمس دقائق دون انقطاع، وعندما توقفت الأغنام كانت الخنازير قد عادت إلى منزلها، وقد ولت فرصة الاحتجاج أو الاعتراض.

أحس بنيامين بأنف كلوفر على كتفه، فنظر إليها، فكانت عيناها قد فقدت بريقها أكثر من ذي قبل، ودون أن تتكلم أخذته إلى الحائط المدون عليه الوصايا السبع.. وقفا ينظران إلى الحائط الأسود وإلى الحروف البيضاء عليه، فقالت كلوفر أخيرًا: لا يسعفني نظري حتى في شبابي، فلم يكن في استطاعتي أن أقرأ الوصايا السبع، هل ما زالت على حالها بنيامين؟

ولأول مرة يخرج بنيامين عن صمته، وقام بقراءة ما هو مدون على الحائط، فلم يكن هناك سوى وصية واحدة، وهي "جميع

الحيوانات سواسية، لكن بعضها أكثر مساواة من غيرها".

لم يعد غريبًا بعد ذلك حينما كانت تشرف الخنازير على العمل بالمزرعة وهي حاملة السياط، ولم يعد غريبًا أيضًا معرفة أن الخنازير قد اشترت مذياعًا لأنفسهم، وأنها اتخذت كافة الإجراءات للحصول على تليفون، وأنها اشتركت في مجلات جون بول وتيبتس والديلي ميرور، ولم تندهش أيضًا حينما رأت نابليون وهو يتجول في الحديقة وغليونه في فمه، ولا حتى رؤية الخنازير مرتدية ملابس جونز، وقد تأنق نابليون في معطفه الأسود وبنطلون الصيد والبوط الجلدي، كما ظهرت خنزيرته الحسناء مرتدية ثوبًا حريريًّا كانت تظهر به زوجة جونز أيام الآحاد.

بعد أسبوع، وبعد ظهر أحد الأيام جاءت إلى المزرعة عدد من العربات الإنجليزية، نزل منها مجموعة من مندوبي المزارعين المجاورين، تمت دعوتهم للقيام بجولة تفتيشية في المزرعة؛ ليطلعوا على أنشطة المزرعة، فبدا عليهم الإعجاب، خاصة بالطاحونة.. كانت الحيوانات في هذا الوقت تطهر حقول اللفت من الحشائش الضارة، وكانت تؤدي عملها بجد وإتقان، لا تجرؤ على رفع رأسها في وجود هؤلاء المندوبين، ولم تعرف ممن يجب عليها أن تخاف: من البشر الذين أدخلوا عليها الرعب أم من الخنازير!!

في هذا المساء سمعت الحيوانات أصوات ضحكات وأغان عالية منبعثة من المنزل، وقد انتابها شعور بالفضول عندما سمعت اختلاط أصوات الآدميين مع الحيوانات، فماذا يحدث عندما تجتمع الحيوانات مع الآدميين على قدم المساواة؟!

قامت الحيوانات بالزحف في هدوء إلى حديقة المنزل، وتوقفت للحظة عند مدخل الحديقة خائفة، لا تجرؤ على الدخول، ولكن تقدمتهم كلوفر على أطراف أرجلها إلى المنزل، وتلصصت الحيوانات طويلة القامة عليهم من نافذة حجرة الطعام، فرأت ستًّا من المزارعين وستًّا من الخنازير يجلسون حول المائدة، يتصدرهم نابليون على رأس الطاولة، وجلست الخنازير بارتياح وسعادة في مقاعدها.

كان الجميع يستمتعون بلعب الورق؛ لكنهم توقفوا لبرهة لتبادل الأنخاب، وكانت تدور عليهم الأباريق لإعادة ملء الكئوس بالخمر، ولم يشعر أحد بالحيوانات المندهشة التي تطل عليهم من النافذة.

ثم وقف بلكنجتون صاحب مزرعة فوكس وود، وفي يده كأس، وطلب إعادة ملء الكئوس لشرب نخب على شرف الحضور. وقال إنه يريد أن يلقي عليهم كلمة، وقال إنه في غاية السعادة، وبالتأكيد باقي الحضور يشعرون بنفس السعادة؛ لانتهاء فترة الشك وسوء الفهم التي استمرت طويلاً، وتوترت العلاقة بينهم وبين السادة الحضور.

لقد مر زمن طويل، لم يكن هو أو أي من السادة الحضور يتشاركون هذه المشاعر، فقد كان يُنظر إلى مُلاك مزرعة الحيوان ليس بعين العداوة؛ ولكن بهاجس من الريبة، وقد وقعت أحداث زادت من البغض، كما أُشيعت بعد الأفكار الخاطئة، فوجود مزرعة يُديرها الخنازير أمر خارق للطبيعة؛ مما يعرض حياة جيرانهم لحالة من عدم الاستقرار، وظن كثير من المزارعين أن مزرعة كهذه سوف يسودها الفوضى وعدم النظام، فتوجسوا خيفة من أن تنتقل عدواهم إلى حيواناتهم، أو إلى العمال.

لقد تبددت هذه الظنون نهائيًّا بعد زيارتهم للمزرعة، واطلاعهم عليها، وعلى أحوال الحيوانات بأنفسهم، وأن عليهم اتباع وتطبيق ما رأت أعينهم من تطور في أساليب العمل والدقة والنظام، فأصبحت المزرعة مثالاً جيدًا يجب أن يُحتذى به.

كما أقر بأن أقل الحيوانات شأنًا في المزرعة إذا قورنت بأمثالها من الحيوانات في جميع أنحاء إنجلترا، فستكون هي الأكثر عملاً والأقل غذاء، وعليهم تطبيق الأساليب المتبعة في معاملة الحيوانات في مزارعهم الخاصة. وأنهى حديثه مؤكدًا أهمية استمرار علاقة الود والصداقة بين مزرعة الحيوان وباقي جيرانها؛ فلا يوجد بين الخنازير والبشر أي تضارب في المصالح، فطريقهم واحد ومصاعبهم مشتركة، تدور في إطار مشاكل العمالة والعاملين.

لقد لاحظ الحضور أن بلكنجتون يريد أن يلقي بعض الكلمات التي تحشرجت في حلقه، وتردد في التصريح بها وكأنه يخشى إثارتها على الحضور، وظهر هذا في محاولاته لكتم ضحكاته، ثم أخذ نفسًا عميقًا قائلاً: "إذا كان لديكم مشاكل مع حيواناتكم، فلدينا مشاكل مع خادمينا". أضحكت هذه الكلمات جميع الحضور، فانطلقوا في هيستيريا من الضحك، ثم قام بلكنجتون بتهنئة الخنازير مرة أخرى على ما أقروه من تزويد ساعات العمل، وتقليل حصص الغذاء، كما هنأها على صرامة التعامل مع الحيوانات، وختم كلمته بدعوة الحيوانات للوقوف لشرب نخب ازدهار مزرعة الحيوان.

أُعجبت الحيوانات بكلماته، فأصدرت صيحات الإعجاب، وبدأت تضرب الأرض بأرجلها، وبلغ الحماس بنابليون إلى أن ترك مكانه، وذهب إلى حيث يجلس بلكنجتون ليقرع الكئوس قبل أن يشربها، وبعد أن هدأت الصيحات، ظل نابليون واقفًا مكانه؛ إشارة منه أن لديه ما يود قوله:

إنه سعيد أيضًا لانتهاء سوء التفاهم بينه وبين جيرانه، فقد أطلق الأعداء الكثير من الشائعات أنه هو وزملاؤه ثوريون، أهدافهم هدامة، كما ألصقت بهم تهم العصيان وإثارة الشغب بين الحيوانات في المزارع المجاورة، فكل ما أطلق بعيد كل البعد عن الحقيقة.

واستطرد حديثه قائلاً:

إنه الآن -كما كان في الماضي- لا يتمنى ولا يدعو إلا للسلام، وأن يسود الود والتعاون بينه وبين جيرانه.

وأردف قائلاً: إن مزرعة الحيوان التي يقوم بإدارتها ما هي إلا مشروع تعاوني، وصكوك ملكية وأسهم مجتمعة بين الخنازير، ولثقته بانتهاء سوء التفاهم بينه وبين جيرانه، ولدعم وتعزيز هذه الثقة، سيقوم بإدخال تعديلات على نظام العمل بالمزرعة؛ فمنذ زمن بعيد اعتادت الحيوانات أن تخاطب بعضها البعض بكلمة "رفيق"، ومن الآن سيتم إلغاء هذه الكلمة، كما انتشر بينهم عادة غريبة لا يُعرف أصلها، وهي السير في الحديقة صباح الآحاد في طابور، ثم الانحناء بالتحية لجمجمة خنزير مثبتة على قاعدة سارية العلم، فقد قُرر قمع هذه العادة، ودفن الجمجمة.

كما أكمل حديثه متسائلاً: هل لاحظ ضيوفه علم المزرعة الذي كان يرفرف في فناء المنزل؟ فإن رأيتموه فلابد أنكم لاحظتم أنه قد أزيل الحافر والقرن من على العلم، وأنه قد قرر أن العلم سيكون لونه أخضر سادة.

ثم وجه حديثًا معاتبًا لبلكنجتون، معلقًا على خطابه الذي تميز بالصداقة والود، إلا أنه أخطأ عندما ذكر اسم المزرعة "مزرعة

الحيوان". وفي الحقيقة أن هذا الاسم قد تغير، وأن الأمانة التاريخية تقتضي عليه تغيير الاسم، والآن ولأول مرة سيعلن عن ذلك، وأن المزرعة قد عاد إليها اسمها القديم: "مانور"!

واختتم حديثه قائلاً: أيها السادة سأقدم لكم النخب السابق، لكن بشكل مختلف املؤوا كئوسكم عن آخرها.. نخب مزرعة "مانور".. وانطلق الهتاف مرحبًا بهذه الكلمات، وظلوا يشربون حتى السُّكر.

كانت الحيوانات تتابع هذ المشهد من الخارج، وقد بدا لها أن أمرًا غريبًا يحدث.

تُرى ما الذي طرأ على الخنازير؟

ظلت كلوفر تتناقل بعينيها المرهقتين من وجه خنزير لآخر، فمنهم من كان لذقنه خمس طبقات، ومنهم من كان له أربع وآخر له ثلاث، ولكنها كانت لا تعلم هل هذا التغير طرأ عليها أم على الخنازير.

انتهى التصفيق، واستأنفوا لعب الورق مرة أخرى، بعد أن توقفوا لتبادل الكلمات والأنخاب، فزخفت الحيوانات يائسة في صمت، وما كادت تبتعد عشرين مترًا حتى اسنوقفها صخب وضوضاء منبعثة من المنزل مرة أخرى، فرجعت مرة أخرى؛ تستطلع

الأمر من النافذة، فكان هناك حول المائدة نقاش حاد، وزاد الصياح، وتحول إلى شجار، ونظرات شك، وضرب على المائدة، وتبادل الاتهامات، وبين رفض وإنكار اتضح أن سبب الخلاف أن نابليون وبلكنجتون لعبا نفس الورقة في نفس الوقت، فعلت الصيحات من اثني عشر صوتًا، تشابهت نبراتها، فلم تستطع الحيوانات التمييز أين الخنازير، وأين الرجال!!

كانت الحيوانات التعسة تتطلع إليهم، وتنتقل ببصرها من الرجال للخنازير، ومن الخنازير للرجال، وأصبح من المستحيل عليها التمييز بين الرجال والخنازير.

تمت

***



ج.م.ع
الإسكندرية
Email: mazagelkotob@gmail.com
Mobile: 01024541339